منهج هنري لاووست في دراسة مذهب ابن تيميَّة في الإمامة -تحليلًا ونقدًا-

Henri Laoust's Approach to the Study of Ibn Taymiyyah's Doctrine of Imamate – Analysis and Criticism –

إعداد

د. أحمد إبراهيم محمد سامه عسيري

عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد ،

المملكة العربية السعودية

منهج هنري لاووست في دراسة مذهب ابن تيميَّة في الإمامة
-تحليلًا ونقدًا-

أحمد إبراهيم محمد سامه عسيري

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد- المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: aiasseri@kku.edu.sa

الملخص:

تُعالج هذه الدراسة منهج هنري لاووست في دراسته لمذهب شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله- في الإمامة، باعتباره أحد أبرز المستشرقين الذين تناولوا الفكر الإسلامي بمنهجيَّة تحليليَّة تجمَع بَيْن البُعد التاريخي والفكري، ركَّزت الدراسة على استكشاف الأُطُر المنهجيَّة التي اعتمَدَها لاووست، ومدى توافُقها مع السياقات الفكريَّة والعقديَّة التي شكَّلت رؤية ابن تيميَّة للإمامة.

وتتمحور الإشكاليَّة حول مدى دقَّة فَهْم لاووست لمنظومة ابن تيميَّة الفكريَّة، خاصَّة أن مفهوم الإمامة عند الأخير يتجاوز التصوُّرات التقليديَّة إلى أبعاد شرعيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة معقَّدة، وتسعى الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس: كيف تناول هنري لاووست مذهب ابن تيميَّة في الإمامة؟ وما مدى موضوعيَّة ودقَّة دراسته في فَهْم الأبعاد المختلفة لهذا المذهب؟

وتهدِف الدراسة إلى:

١. تحليل منهج هنري لاووست في دراسة مذهب ابن تيميَّة في الإمامة.

٢. تقييم مدى توافُق تحليل لاووست لمفهوم الإمامة مع السياقات العقديَّة والفكريَّة التي انطلق منها ابن تيميَّة.

٣. دراسة أثر الخلفيَّة الثقافيَّة والفكريَّة للاووست على فَهْمه وتأويله لفكر ابن تيميَّة.

٤. رصد الإشكالات المنهجيَّة التي شابت دراسة لاووست لمفهوم الإمامة.

تكشف الدراسة عن الجوانب الإيجابيَّة والقُصور المنهجي في تناول لاووست للإمامة، وتُظهر كيف أثَّرت خلفيَّته الثقافيَّة الغربيَّة على تفسيراته، كما ستُسهم في تقديم قراءة نقديَّة شاملة لدراسات الاستشراق المتعلِّقة بالفكر الإسلامي.

الكلمات المفتاحيَّة: ابن تيميَّة، هنري لاووست، الإمامة.

Henri Laoust's Approach to the Study of Ibn Taymiyyah's Doctrine of Imamate
- Analysis and Criticism -

Ahmed Ibrahim Mohammed Samah Asiri
Department of Contemporary Doctrines and Doctrines - College of Sharia and Fundamentals of Religion, King Khalid University - Kingdom of Saudi Arabia.
Email: aiasiri@kku.edu.sa

Abstract

This study examines Henri Laoust's methodology in analyzing Imam Ibn Taymiyyah's concept of Imamate, as one of the prominent orientalists who approached Islamic thought through a combined historical and intellectual lens. The research focuses on exploring the methodological frameworks adopted by Laoust and assessing their alignment with the doctrinal and intellectual contexts underpinning Ibn Taymiyyah's vision of Imamate.

The main problem addressed in this study revolves around the accuracy of Laoust's understanding of Ibn Taymiyyah's intellectual framework, especially since the latter's concept of Imamate extends beyond traditional perceptions to encompass complex legal, social, and political dimensions. The study aims to answer the central question: How did Henri Laoust approach Ibn Taymiyyah’s concept of Imamate? And how objective and accurate was his analysis in understanding its various dimensions?

The study aims to:

1. Analyze Henri Laoust’s methodology in studying Ibn Taymiyyah’s concept of Imamate.
2. Assess the compatibility of Laoust’s analysis with the doctrinal and intellectual contexts of Ibn Taymiyyah’s thought.

3. Examine the impact of Laoust's cultural and intellectual background on his interpretation of Ibn Taymiyyah's ideas.
4. Identify the methodological challenges in Laoust's study of Imamate.

The study is expected to reveal the strengths and methodological shortcomings in Laoust's approach to Imamate, illustrating how his Western cultural background influenced his interpretations. It also aims to provide a comprehensive critical review of orientalist studies on Islamic thought.

Keywords: Ibn Taymiyyah, Henri Laoust, Imamate.

مقدمة:

إنَّ دراسة الفكر الإسلامي بما يَحمله من أبعاد عقديَّة وفكريَّة وسياسيَّة شكَّلت محور اهتمام كبير لدى المستشرقين الذين سعَوْا لفَهْم التفاعل بَيْن الدين والمجتمع في الإسلام، ومن بَيْن هؤلاء المستشرقين الفرنسي هنري لاووست، الذي يُعَد أحد أبرز المهتمِّين بالفكر الحنبلي؛ حيث ركَّزت أعماله على الكشف عن البنية الفكريَّة التي تميَّز بها شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وخاصَّة آراءَه حولَ السياسة والاجتماع.

كان مفهوم الإمامة في الفكر الإسلامي من القضايا الجوهريَّة التي تناولها لاووست في كتابه "نظريَّات ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع"، الذي قُدِّم كرسالة دكتوراه في الدراسات الإسلاميَّة، يُعَد هذا العمل من أبرز الدراسات الاستشراقيَّة التي تناولت فكر ابن تيميَّة من زاوية أكاديميَّة؛ إذ جمَع فيه لاووست بَيْن التحليل التاريخي والسياسي، محاوِلًا تقديم تفسير شامل لموقف ابن تيميَّة من الإمامة وعلاقتها بنظرته للدولة ووظيفتها.

اعتمَد لاووست في هذا الكتاب على تحليل نصوص محوريَّة، مثل: كتاب "منهاج السُّنة النبويَّة"، و"السياسة الشرعيَّة"، لتقديم قراءة موسَّعة لرؤية ابن تيميَّة للإمامة باعتبارها وظيفة اجتماعيَّة شرعيَّة تهدِف إلى تحقيق المصلحة العامَّة للأُمَّة الإسلاميَّة، بعيدًا عن الطروحات المثاليَّة التي اعتمدَتْها بعض الفِرَق الإسلاميَّة، وفي هذا السياق سلَّط الضوء على البُعد السياسي للإمامة في فكر ابن تيميَّة، رابطًا إيَّاها بالظروف التاريخيَّة التي عاشها العالَم الإسلامي، خاصَّة في ظِل اجتياح المغول، وتفكُّك الخلافة.

ومع ذلك، تُثير دراسة لاووست في هذا الكتاب تساؤلات مهمَّة حول مدى دقَّته في استيعاب السياقات الفكريَّة والعقديَّة التي شكَّلت رؤية ابن تيميَّة، فعلى الرغم من منهجيَّته التي مزَجَت بَيْن التحليل التاريخي والوصفي والنقدي، إلا أن تأثُّره بالخلفيَّة الفكريَّة الغربيَّة انعكس على تفسيره لبعض

القضايا؛ حيث ركَّز بشكل أكبر على الأبعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة على حساب العُمق العقدي الذي يُعَد حجر الزاوية في فكر ابن تيميَّة.

من هنا، تأتي هذه الدراسة لتحليل منهج هنري لاووست في تناوله لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة؛ وذلك من خلال استعراض الأُطُر المنهجيَّة التي اعتمَدَها، ومدى نجاحه في تقديم قراءة متوازنة تجمَع بَيْن فَهْم السياقات التاريخيَّة، والإحاطة بالأبعاد العقديَّة لهذا الفكر.

الإشكاليَّة:

هذه الدراسة تُثير العديد من التساؤلات حول مدى دقَّة فَهْم لاووست لمنظومة ابن تيميَّة الفكريَّة، خاصَّة أن مفهوم الإمامة عند الأخير يتجاوز التصوُّرات التقليديَّة إلى أبعاد سياسيَّة واجتماعيَّة معقَّدة، وفي هذا السياق تتطلَّب دراسة لاووست لمذهب ابن تيميَّة في الإمامة تحليلًا نقديًّا يتجاوز وصْف الطرح إلى تقييم منهجيَّته، وأثر السياقات الثقافيَّة والفكريَّة الغربيَّة في تحليله؛ ذلك لأن قراءة المفاهيم الإسلاميَّة وَفقَ أُطُر غربيَّة قد تفتح الباب أمام إسقاطات ثقافيَّة ومعرفيَّة قد تؤثِّر على الموضوعيَّة العلميَّة، مما دَفَعني لطرح الإشكاليَّة الآتية:

كيف تناول هنري لاووست مذهب ابن تيميَّة في الإمامة؟ وما مدى موضوعيَّة ودقَّة دراسته في فَهْم الأبعاد العقديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة لهذا المذهب؟

التساؤلات الفرعيَّة:

١. ما منهج هنري لاووست في دراسته لمذهب ابن تيميَّة في الإمامة؟
٢. ما مدى توافُق تحليل لاووست لمفهوم الإمامة مع السياقات الفكريَّة والعقديَّة التي ينطلق منها ابن تيميَّة؟
٣. كيف أثَّرت الخلفيَّة الثقافيَّة والفكريَّة للاووست على فَهْمه وتأويله لمذهب ابن تيميَّة؟

٤. ما الإشكالات المنهجيَّة في دراسة لاووست لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة

أسباب اختيار الموضوع:

١. **البُعد الذاتي:** ينبُع اختياري لهذا الموضوع من اهتمامي الشخصي بالفكر الإسلامي وأثره في تشكيل النُّظُم السياسيَّة والاجتماعيَّة، إلى جانب شَغَفي بدراسة الرُّؤى الاستشراقيَّة التي تُسلِّط الضوء على الفكر الإسلامي؛ إذ يُمثل هنري لاووست نموذجًا بارزًا للمستشرقين الذين تناوَلوا الفكر الإسلامي بعمق وتحليل منهجي، ما أثار فُضولي العلمي لرصد منهجيَّته وتقييمها.

٢. **البُعد المعرفي:** يُعَد موضوع الإمامة عند ابن تيميَّة محطَّة أساسيَّة لفَهْم نظريَّته السياسيَّة والاجتماعيَّة التي لا تنفصل عن أبعادها العقديَّة، ورغم وجود العديد من الدراسات التي تناولت الفكر السياسي الإسلامي، إلا أن التحليل المقارن بَيْن رؤية ابن تيميَّة للإمامة والطريقة التي قرأ بها لاووست هذه الرؤية؛ يُبرز ثَغَرات معرفيَّة تستدعي البحث، ونُدرة الدراسات التي ركَّزت على الجانب المنهجي في أعمال هنري لاووست، وتحديدًا في كتابه "نظريَّات ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع"، دفَعَتْني إلى تبَنِّي هذا الموضوع بوصفه مساهمة لسد فجوة معرفيَّة تتعلَّق بتقييم استشراقي علمي لنظريَّة الإمامة في الفكر الإسلامي.

٣. **البُعد الإشكالي:** أثارَتْني الإشكالات المنهجيَّة التي تتخلَّل دراسات لاووست، مثل التأثُّر بخلفيَّات فكريَّة غربيَّة عند تفسير المفاهيم الإسلاميَّة، وإغفال السياقات العقديَّة والتشريعيَّة؛ لذا كان من الضروري دراسة وتحليل تلك الإشكالات لتقديم قراءة نقديَّة متوازنة، يتَّسِم تحليل لاووست بالعمق، لكنَّه يَحمل في طيَّاته إسقاطات ثقافيَّة ومعرفيَّة قد تعوق تحقيق الموضوعيَّة التامَّة، هذه التحديات دفَعَتْني إلى استكشاف

مدى دقَّة تحليله للإمامة، ومدى توافُقه مع السياقات العقديَّة التي انطلق منها ابن تيميَّة.

أهميَّة الموضوع:

١. **الأهميَّة العلميَّة والمعرفيَّة:** يُلقي البحث الضوء على دور الاستشراق في قراءة التراث الإسلامي، وما يترتَّب على تلك القراءات من إسقاطات فكريَّة، أو تحيُّزات معرفيَّة يُمكن أن تُثري النقاش، أو تفتح مجالًا للنقد والتقويم.

٢. **الأهميَّة المنهجيَّة:** يُظهر البحث أهميَّة دراسة منهجيَّة المستشرقين في تناول القضايا الإسلاميَّة؛ حيث يُعَد هنري لاووست نموذجًا للتحليل الذي يجمَع بَيْن الأدوات الأكاديميَّة الغربيَّة، ومحاولة فَهْم النصوص الإسلاميَّة، هذا الجانب يُبرز الحاجة لفحص تلك المنهجيَّات، ومدى توافُقها مع طبيعة الفكر الإسلامي، وتحليل المناهج التي استخدمها لاووست (التاريخي، الوصفي، المقارن، النقدي) يُتيح فرصة لتطوير أدوات بحثيَّة تساعد الباحثين في التعامل مع النصوص التراثيَّة الإسلاميَّة، بما يضمَن قراءة أكثر توازنًا وعمقًا.

٣. **الأهميَّة الفكريَّة والنقديَّة:** يكشف البحث عن تأثير الخلفيَّات الفكريَّة والثقافيَّة الغربيَّة على تفسير لاووست لفكر ابن تيميَّة، وهو ما يساعد في فَهْم الأبعاد الثقافيَّة والمعرفيَّة التي تُشكِّل القراءات الاستشراقيَّة للتراث الإسلامي، ويُمثل البحث فرصة لإعادة تقييم تأثير الفكر الغربي على تحليل القضايا الإسلاميَّة، خاصَّة عند تناول مفاهيم مثل الإمامة التي تتَّسم بارتباطها الوثيق بالشرعيَّة العقديَّة والشريعة الإسلاميَّة.

٤. **الأهميَّة التطبيقيَّة:** يُقدم البحث نموذجًا لتحليل الخطاب الاستشراقي من منظور نقدي أكاديمي، مما يُساعد الباحثين في الدراسات الإسلاميَّة والاستشراقيَّة على تطوير مقاربات نقديَّة لتحليل الأعمال الاستشراقيَّة.

أهداف الموضوع:

١. تحليل منهج هنري لاووست في دراسة مذهب ابن تيميَّة في الإمامة، من خلال استعراض المناهج التي استخدمها، ومدى نجاحه في توظيفها.
٢. تقييم مدى توافُق تحليل لاووست لمفهوم الإمامة مع السياقات الفكريَّة والعقديَّة التي انطلق منها ابن تيميَّة، مع التركيز على الانسجام بَيْن الفكر العقدي والنظرة السياسيَّة.
٣. دراسة أثر الخلفيَّة الثقافيَّة والفكريَّة للاووست على فَهْمه، وتأويله لفكر ابن تيميَّة، بما يشمل تأثير الفكر الغربي على تحليلاته.
٤. رصد الإشكالات المنهجيَّة التي شابَتْ دراسة لاووست لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة، مثل: الانتقائيَّة، أو غياب البُعد العقدي في التحليل.

الدراسات السابقة:

هذا البحث يختصُّ بتحليل منهج هنري لاووست في دراسته لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة ، ورغم الأهميَّة البالغة التي حَظِيَت بها أعمال لاووست، وخاصَّة كتابه "نظريَّات ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع"، إلا أن معظم الدراسات السابقة ركَّزت على تناول فكر ابن تيميَّة ذاته، أو الفكر السياسي الإسلامي بشكلٍ عامٍّ، دونَ أن تقترِب من دراسة العلاقة المنهجيَّة والنقديَّة بَيْن رؤية لاووست لمفهوم الإمامة، وبَيْن الأُطُر العقديَّة والفكريَّة التي انطلق منها ابن تيميَّة.

ومن أهم هذه الدراسات:

-مقال علمي محكَّم منشور في مجلة الدراسات العربية بجامعة المنيا، العدد الرابع لعام ٢٠٢٣م، بعنوان: "آراء ابن تيمية العقدية عند المستشرق الفرنسي هنري لاوست (١٩٠٥-١٩٨٣م): دراسة نقدية

وتُعَدُّ هذه الدراسة إضافةً أصيلة إلى المكتبة العلمية، حيث ركَّزت على الآراء العقدية لابن تيمية في الأسماء والصفات، من حيث الإثبات

والنفي، ومنهجه في عرضها. كما تناولت الدراسة آراء هنري لاوست حول طريقة ابن تيمية في تناول هذه القضايا.

بالإضافة إلى ذلك، ركَّزت الدراسة على موضوع النبوات، وإثباتها، والرد على منكريها، مع بيان منهج أهل السنة والجماعة وتقرير ابن تيمية لهذه القضايا، كما عالجت الآراء التي ناقشها هنري لاوست في هذا السياق. وتطرقت الدراسة أيضًا إلى موقف ابن تيمية من الصحابة وعدالتهم، وفق منهج أهل السنة والشيعة، مع مناقشة سريعة لمسألة تولية الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتولية الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كما ناقشت بعض آراء هنري لاوست حول الخلافة وموقفه من الاختلاف بين أهل السنة والشيعة.

أما دراستي، فتختلف عنها في أنها تناولت الموضوع من زاوية دراسة منهجية هنري لاوست ومصادره، ومدى تأثُّره بالنظرة الغربية والفلسفات الغربية في الحكم على تراث ابن تيمية.

وأرجو أن يكون هذا البحث مما يسُدُّ الفجوة في الدراسات الاستشراقيَّة، ويفتح آفاقًا جديدة لفَهْم أعمق للعلاقة بَيْن الفكر الإسلامي وأدوات التحليل الغربيَّة.

منهج البحث:

لأجْل أن أستقصي كافَّة الجوانب استعنتُ بالمناهج العلميَّة الآتية:

١. **المنهج الوصفي:** يُستخدَم لتحليل نصوص هنري لاووست بدقَّة، وخاصَّة ما ورد في كتابه "نظريَّات ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع"، من خلال وصْف آرائه وتحليلها، كما يُستخدَم لعرض آراء ابن تيميَّة حولَ الإمامة من نصوصه الأساسيَّة؛ مثل "منهاج السُّنة النبويَّة"، و"السياسة الشرعيَّة"، وذلك من خلال:

- تقديم وصْف شامل لرؤية لاووست لمفهوم الإمامة.

- استعراض دقيق لآراء ابن تيميَّة حول الإمامة، باعتبارها وظيفة شرعيَّة تُحقق مقاصد الشريعة، بعيدًا عن المثاليَّة النظريَّة.

٢. المنهج المقارن:

يُستخدَم لعقد مقارنات بَيْن:

- مفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة، وبَيْن الأُطروحات الشيعيَّة، خاصَّة كما وردتْ في كتاب "منهاج الكرامة" للحِلِّي.
- رؤية ابن تيميَّة ومواقف فقهاء السُّنة التقليديِّين؛ مثل: الماوردي، وأبي يَعْلى.
- منهجيَّة لاووست في دراسة الفكر الإسلامي مقارنةً بمناهج مستشرقين آخرين تناولوا ابن تيميَّة.
- إبراز الفروق الجوهريَّة بَيْن نظرة ابن تيميَّة للإمامة كمفهوم عملي وظيفي، وبَيْن الأُطروحات الشيعيَّة التي تَربط الإمامة بالنص الإلهي والعصمة.
- تحليل تفرُّد ابن تيميَّة في النظر إلى الإمامة كأداة لتحقيق مقاصد الشريعة، مقارنةً بالطرح النظري لدى فقهاء السُّنة التقليديِّين.

المنهج النقدي: يُستخدَم لتقييم المنهجيَّة التي اعتمَدَها هنري لاووست في دراسته للإمامة، من خلال تحليل مدى موضعيَّته ودقَّة فَهْمه لرؤية ابن تيميَّة، كما يُطبِّق نقد الإسقاطات الفكريَّة والثقافيَّة الغربيَّة التي أثَّرت على تحليلاته؛ وذلك من خلال:

- رصد الإشكالات المنهجيَّة في دراسة لاووست، مثل: غياب البُعد العقدي في تحليله، والتركيز على الجوانب السياسيَّة والاجتماعيَّة فقط.
- تقييم مدى دقَّة تفسيره لنصوص ابن تيميَّة في سياقها الشرعي والفكري الإسلامي.

- الكشف عن التحيُّزات، أو التأويلات التي قد تكون أثَّرت على فَهْم لاووست للفكر الإسلامي.

المحاور:

المحور الأول: تحديد منهج هنري لاووست في دراسته لمذهب ابن تيميَّة في الإمامة.

المحور الثاني: مدى توافُق تحليل لاووست للإمامة مع السياقات الفكريَّة والعقديَّة لابن تيميَّة.

المحور الثالث: أثر الخلفيَّة الثقافيَّة والفكريَّة للاووست على فَهْمه وتأويله لمذهب ابن تيميَّة.

المحور الرابع: الإشكالات المنهجيَّة في دراسة لاووست لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة.

تمهيد:

ترجمة هنري لاووست (HENRI LAOUST):

مستشرِق فرنسي وُلِد في الأول من أبريل عام ١٩٠٥م في قرية "فرين سور إسكوت" شمال فرنسا، والدُه إميل لاووست، كان مستشرِقًا متخصصًا في دراسة لهجات البربر وعِلم الأجناس؛ حيث أسهم بشكل بارز في دراسة تراث المغرب العربي، كان هذا المحيط العلمي الذي نشأ فيه لاووست مؤثرًا في توجيه اهتماماته الفكريَّة نحوَ دراسة الثقافة الإسلاميَّة والتراث العربي(١).

بدأ هنري تعليمه الثانوي في مدرسة فرنسيَّة بمدينة الرباط بالمغرب؛ حيث كان والده يعمَل في مدرسة مختصَّة باللهجات العربيَّة والبربريَّة خلالَ هذه المرحلة، التقى بعددٍ من المستشرِقين الفرنسيين البارزين الذين أثَّروا

(١) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص٥١٠.

على مسيرته، مثل: هنري تيراس، وريجيس بلاشير، بعدَ حصوله على شهادة البكالوريا انتقل لاووست إلى باريس؛ حيث التحق بـ"مدرسة المعلمين العليا"، ودرس في كليَّة الآداب بجامعة السوربون، حصل على الليسانس في اللغة العربيَّة والفلسفة عام ١٩٢٨م، ثم حصَل على شهادة الأجريجاسيون[١] في اللغة العربيَّة التي تؤهله لتدريس العربيَّة في المدارس الثانويَّة الفرنسيَّة في إطار سَعْيه لتعميق معرفته باللغة العربيَّة، توجَّه لاووست إلى دمشق بمنحة دراسيَّة لدراسة اللغة العربيَّة في المعهد الفرنسي هناك؛ حيث استفاد من التواصل المباشر مع العلماء والمثقَّفين المحلِّيِّين[٢].

عمِل لاووست في عدَّة مناصب أكاديميَّة مرموقة، كان أبرزها عمله في "المعهد الفرنسي للآثار الشرقيَّة" بالقاهرة بَيْن عامَيْ ١٩٣١م و١٩٣٦م خلالَ هذه الفترة انصبَّ تركيزه على دراسة فكر ابن تيميَّة؛ حيث تواصل مع شخصيَّات بارزة مثل: رشيد رضا، واطَّلع على الإنتاج الفكري للحركة السلفيَّة في مصر، بعد ذلك تولَّى إدارة "المعهد الفرنسي بدمشق" من عام ١٩٣٦م وحتى عام ١٩٦٢م؛ حيث أشرف على إصدار العديد من النشرات التراثيَّة والدراسات المتعلِّقة بسوريا، إلى جانب ذلك شغل منصب أستاذ كرسي الحضارة واللغة العربيَّة في جامعة ليون عام ١٩٤٦، ثم خلَفَ أستاذَه لويس ماسينيون في "كليَّة دي فرانس" عام ١٩٥٦م كأستاذ لعلم الاجتماع الإسلامي، واستمرَّ في هذا المنصب حتى تقاعُده عام ١٩٧٥، كذلك ترَأَّس

---

(١) الإغريغاسيون (Agregation) هي شهادة تؤهل حاملها للتدريس في التعليم الإعدادي والثانوي والجامعي كذلك، وهي أكثر صعوبةً من الدكتوراه، وهناك مَن يجمع بينها وبين الدكتوراه، يُقال لحامل الإغريغاسيون: بروفيسور مؤهل، يُنظَر: حسان بن إبراهيم الدريعان، آراء ابن تيميَّة العقدية عن هنري لاووست، ص١٠.

(٢) نجيب العقيقي، المستشرقون، ج١، دار المعارف، مصر، ط٣ ن، ص٣٢١-٣٢٢.

تحرير "مجلة الدراسات الإسلاميَّة"، وأسهم في نشر العديد من أبحاثه ودراساته فيها ، كما تولى رئاسة جمعية الصداقة السعودية الفرنسية [١] وأثمرت هذه العلاقة عن عقد ندوة عن حقوق الانسان في مدينة الرياض بتنظيم من وزارة العدل السعودية عام ١٩٧٢م وقد شارك في هذه الندوة وفد أوروبي ضم متخصصين في حقوق الإنسان، من بينهم هنري لاوست، حيث تم مناقشة موضوعات تتعلق بحقوق الإنسان من منظور إسلامي. أثمرت هذه الجهود عن دعوات متبادلة بين علماء المملكة وجهات أوروبية، مما ساهم في تعزيز الحوار الثقافي والديني بين الجانبين.

ومن خلال رئاسته للجمعية ومشاركته في هذه الأنشطة، ساهم هنري لاوست في تعزيز العلاقات السعودية الفرنسية، خاصة في المجالات الثقافية والفكرية، وساعد في بناء جسور التفاهم بين العالمين الإسلامي والغربي.

كان اهتمام هنري لاووست الفكري مُنصَبًّا بشكل رئيسي على دراسة الفكر الإسلامي، وخصوصًا التراث الحنبلي وفكر ابن تيميَّة، تميَّزت أبحاثه بمحاولة فَهْم العلاقة بَيْن الدين والمجتمع والسياسة في الإسلام، وعلى الرغم من ذلك؛ فقد أُخِذ على إنتاجه العلمي أنه اتَّسم بالطابع التاريخي الوصفي أكثر من التعمُّق النظري، وهو ما أثار انتقادات بعض الباحثين مثل: عبد الرحمن بدوي[٢].

فيما يتعلَّق بإنتاجه العلمي، قدَّم لاووست مساهمات غنيَّة ومتنوعة، كانت أُطروحته الرئيسيَّة لنيل الدكتوراه بعنوان "نظريَّات شيخ الإسلام ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع"، التي تُعد أحد أبرز أعماله، إلى جانب أُطروحته الفرعيَّة "إسهام في دراسة المناهج الشرعيَّة عند ابن تيميَّة"، كما

(١) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥١١.

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

قدَّم عددًا من الكتب المهمَّة، منها كتاب "السياسة عند الغزالي" (١٩٧٠)، الذي تضمَّن دراسة شاملة لفكر الغزالي، وإن كان تناول السياسة يشغل جزءًا صغيرًا من محتواه، وكتاب "الانشقاقات في الإسلام" (١٩٦٥)، الذي تناول الفِرَق الإسلاميَّة بأسلوب مبسَّط موَجَّه للقُرَّاء الغربيِّين[١].

نشر لاووست العديدَ من الأبحاث التي تناولت موضوعات متعددة، أبرزها دراساته حول ابن تيميَّة، مثل: "آراء ابن تيميَّة في الألوهيَّة" (١٩٣٧)، و"رسالة في القانون العام لابن تيميَّة" (١٩٤٧)، كما ترجَم العديدَ من أعمال ابن تيميَّة إلى الفرنسيَّة، مثل "السياسة الشرعيَّة" (١٩٤٨)، و"العقيدة الواسطيَّة" (١٩٣٨)، و"رسالة الحسبة" (١٩٤٨)، إلى جانب ذلك أسهمَ في تحقيق بعض النصوص التراثيَّة المهمَّة، مثل: "العمدة في الفقه" لابن قُدامة، الذي أصدره بنص عربي وفرنسي[٢].

تميَّزت شخصيَّة لاووست الأكاديميَّة بمزيج من الموضوعيَّة والحُب العميق للتراث العربي الإسلامي، ورغم الانتقادات التي وُجِّهَت لبعض أعماله، أشاد به عددٌ من المفكرين والعلماء، مثل: محمَّد كرد علي الذي وصَفَه بأنه تمكَّن من النفاذ إلى روح فكر ابن تيميَّة، ود. مولود عويمر الذي أشار إلى أنه كان منصِفًا في تناوله للتراث الإسلامي، رغم كونه متأثرًا بالمركزيَّة الغربيَّة[٣].

توفيَ هنري لاووست في ١٢ نوفمبر ١٩٨٣م بعد أن ترك إرثًا علميًّا أثْرى الدراسات الإسلاميَّة، وأسهم في فَهْم الفكر الإسلامي من منظور

(١) مولود عويمر، مقاربات في الاستشراق والاستغراب (هنري لاووست نصف قرن في رحاب الفكر الإسلامي)، فضاءات للنشر والتوزيع ط١، ٢٠١٨، ص٥٥.

(٢) نجيب العقيقي، المستشرقون، ج١، ص٣٢٢.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

أكاديمي غربي.

المحور الأول: تحديد منهج هنري لاووست في دراسته لمذهب ابن تيميَّة في الإمامة:

في دراسته لمذهب ابن تيميَّة في الإمامة، لم يكتفِ هنري لاووست بالوصف والتحليل فحسبُ، بل مارَسَ النقد العلمي الذي يكشف عن تفاعل رؤيته الغربيَّة مع الفكر الإسلامي، اعتمَدَ لاووست على المنهج النقدي لتقييم أفكار ابن تيميَّة من خلال تفكيك رُؤاه السياسيَّة والاجتماعيَّة، ورَبْطها بالسياقات التاريخيَّة التي عاشها، ومع ذلك حَمَل نقده بعض التأويلات التي تأثَّرت بخلفيَّته الفكريَّة الغربيَّة، مما أظهر تفاوتًا بَيْن رؤيته ومقاصد ابن تيميَّة العقديَّة والشرعيَّة، يُظهر هذا المحور كيف وظَّف لاووست النقد لفَهْم وتحليل موقف ابن تيميَّة، مع تسليط الضوء على نقاط قوَّته، وجوانب القصور في منهجه النقدي.

أولًا: المنهج العام:

هذا المدخل العام هو لتوضيح الخطوات التي اعتمَدَها هنري لاووست في دراسته لفكر ابن تيميَّة حولَ الإمامة، فقبلَ أن يخوض في تحليل الآراء السياسيَّة والاجتماعيَّة، والإمامة لابن تيميَّة، رأى لاووست ضرورةَ الانطلاق من الأُسُس العقديَّة والفكريَّة التي شكَّلت المرجعيَّة الأساسيَّة لمواقفه، إن هذا النهج يعكس إدراكَ لاووست لأهميَّة السياق الفكري الذي ينطلقُ منه ابن تيميَّة؛ حيث لا يُمكن فَصْل مواقفه السياسيَّة والاجتماعيَّة عن منظومته العقديَّة المرتبطة بالتوحيد والنبوة والصفات، ثم رأيتُ أن أُدرج الحديث حولَ المصادر التي اعتمَدَها هنري في تحليله لفكرة الإمامة لابن تيميَّة قبلَ الخوض في المنهج العلمي الذي استخدمه.

١.الأُسس العقديَّة مدخل لدراسة الفكر السياسي عند ابن تيميَّة:

أدرك هنري أهميَّة المدخل العقدي في فَهْم الفكر السياسي

والاجتماعي عند ابن تيميَّة؛ حيث يرى أن آراء ابن تيميَّة في الإمامة لا يُمكن دراستها بمعزِل عن منظومته العقديَّة والفكريَّة، هذا المدخل يُبرز البِنية الفكريَّة التي ينطلق منها ابن تيميَّة، والتي تتمحور حولَ التوحيد باعتباره الأساس الشرعي لأي سُلطة أو حُكم؛ حيث قال في مطلَع الفصل الأول من كتابه: "برغم أن غرضنا الرئيسي هو دراسة مذهب ابن تيميَّة الاجتماعي السياسي؛ فقد يَستحيل علينا أن نُحيط بأطراف هذا المذهب، وأن نُحدد مختلف الأفكار والمفاهيم التي يتضمَّنها بترتيبها المتسلسل من غير أن نستعرض بادئَ ذي بَدءٍ أفكار ابن تيميَّة الجوهريَّة في العقيدة"(١).

ثم قال في مطلَع الفصل الثالث "**الإمامة والدولة**": "انطلقت فكرة ابن تيميَّة من مفهوم الله(٢)، وانتقلت في خط سيرها المنطقي إلى دراسة النبي ﷺ والصحابة والأصول لتنتهي إلى الأُمة"(٣).

وأكَّد الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي(٤) هذا في مقدمته(١) الرصينة

---

(١) نظريات شيخ الإسلام ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع، ص٥.

(٢) في النص الأصلي: " La pensée d'Ibn Taimiya, dans sa procession logique, parle de **la notion** de Dieu"، وهنا جاءت كلمة "la notion" دالَّة على "التعريف" أو "فكرة"، وليس "مفهوم"؛ لأن المفهوم غير التعريف والفكرة، وهنري أخذ على عاتقه دراسة اللغة العربية والمنظومة العقدية الإسلامية، ولا أظنه يرى بأن لابن تيميَّة مفهومًا لله تعالى، ونعلَم صعوبات الترجمة الجمَّة، وخاصة في مثل هذه الكتب الفكرية، وقد نوَّه الباحث حسان بن إبراهيم الدريعان إلى وجود أخطاء في ترجمة محمَّد عبد العظيم علي أيضًا، ورأيتُ أن أستطرد في هذا للفائدة ليس إلا.

(٣) نظريات شيخ الإسلام ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع، ص١٩٥.

(٤) أستاذ مصري متخصص في العقيدة والفلسفة الإسلامية. حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٧١ من جامعة الإسكندرية برسالة حول "موقف المدرسة السلفية من التصوف"، وله إسهامات بارزة في الدفاع عن منهج أهل السنة والجماعة ودراسة =

لكتاب هنري "النظريات" أن المؤلف تناول في الفصل الأول تصوُّر ابن تيميَّة للعلاقة بين الذات الإلهيَّة والصفات، مميِّزًا بَيْن الإرادة الكونيَّة والإرادة التشريعيَّة في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وناقش صفات الإرادة والقدرة والكلام، بما في ذلك مسألة خَلْق القرآن، مع مقارنة بين آراء ابن تيميَّة واتجاهات المدارس الكلاميَّة والفلسفيَّة، وخَلَص إلى أن نظام ابن تيميَّة يرتكز على تحقيق العبادة الخالصة لله في

=

الفكر السلفي والتصوف الإسلامي. شغل مناصب أكاديمية عدة، منها التدريس في جامعة الملك سعود بالرياض وجامعة أم القرى بمكة المكرمة. حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٨٥، ومن أبرز مؤلفاته: "السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية" و"ابن تيمية والتصوف." والكثير من المؤلفات القيّمة.

(١) قام الدكتور مصطفى حلمي بالتعليق على كتاب هنري لاووست "نظريات ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع" بمقدمة طويلة تضمَّنت أربعة أقسام رئيسة: تناول في القسم الأول المسائل التي رآها بعيدة عن الصواب عند لاووست، مثل وصف ابن تيميَّة العلمي ومنهجه، واستخدام المصطلحات الغربية، وموضوع الأقليات وأهل الذمة، مع تأصيل هذه القضايا دون التطرق للأخطاء العقدية التي علق عليها لاحقًا في الحواشي، أما القسم الثاني؛ فقد ركز فيه على قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، مثل تقديم النقل على العقل، ورفض التأويل الكلامي، والتمسك بفهم سلف الأُمة، وفي القسم الثالث تناول موقف ابن تيميَّة من الفِرق الإسلامية وأربابها، مثل: الشيعة والخوارج والمعتزلة، وأرباب التصوف، أما القسم الرابع؛ فقد خصصه لشرح مفاهيم ابن تيميَّة حول معرفة الله، مفهوم العبودية، ونظرته للإنسان والتاريخ، وعلى الرغم من أن المقدمة التي بلغت ١٢٠ صفحة كانت ثريَّة وأصيلة، إلا أنها لم تتضمن توضيحًا كاملًا للأخطاء المنهجية والعقدية في تحليل لاووست، باستثناء ما ذكره في القسم الأول؛ حيث اختار التعليق على الأخطاء في مواضعها بالحواشي.

كل جوانب الحياة[١].

لاووست يبدأ دراسته بمناقشة الأُسس اللاهوتيَّة (التوحيد والصفات الإلهيَّة)، ثم النبوة، وصولًا إلى النظريَّة السياسيَّة والاجتماعيَّة عند ابن تيميَّة، في هذا السياق، يرى لاووست أن مفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة يُبنى على تصوُّر عقدي متكامل يرفُض فكرة النصوصيَّة والوصاية الإلهيَّة، كما يرفُض أي تصوُّر يجعل الإمامة "غاية بحد ذاتها"، فبالنسبة لابن تيميَّة الإمامة وسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلاميَّة المتمثِّلة في العدل وإقامة الدين[٢].

تجلَّى هذا المدخل في دراسة لاووست لكتاب "منهاج السُّنة النبوية"؛ حيث وجد أن ابن تيميَّة تعامل مع نقده للشيعة الإماميَّة من خلال أساس عقدي يرتبط بمفهوم التوحيد، فالاعتقاد بضرورة وجود إمام معصوم ينفي عند ابن تيميَّة اكتمال الشريعة، وهو ما يراه خللًا في التوحيد[٣]، وهنا يظهر تركيز لاووست على تحليل جذور فكر ابن تيميَّة من الناحية اللاهوتيَّة قبل أن ينتقل إلى دراسة موقفه من الإمامة بشكل مباشر.

وخلاصةُ ما سبق؛ أن هذا التأصيل العقدي عند ابن تيميَّة وَفْقَ قراءة لاووست ليس مجرَّد تمهيد نظري، بل هو ركيزة أساسيَّة لتفسير آرائه حولَ ضرورة الإمام، واشتراط القوة والشوكة كشرط عملي لتحقيق مقاصد الإمامة[٤]؛ ومع ذلك وقع لاووست في بعض الإسقاطات الفكريَّة حينما

---

(١) راجع: الفصل الثالث: الإمامة والدولة، ص١٩٥-٢٠٠.

(٢) ابن تيميَّة منهاج السُّنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٨٦، ج١، ص٤٨.

(٣) المرجع نفسه، ص١٢٠.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٥١.

وصَفَ هذا المنهج بأنه يتَّسم بنزعة واقعيَّة في التعامل مع السُّلطة السياسيَّة بعيدًا عن المثاليَّة النظريَّة التي تبَنَّاها المتكلمون والفلاسفة.

٢.مصادر هنري في دراسة منهج ابن تيميَّة في الإمامة[١]:

اعتمَدَ هنري لاووست على مجموعة من المصادر الأصليَّة والثانويَّة التي أمدَّته برؤية واضحة حول آراء ابن تيميَّة في الإمامة، في مقدمة هذه المصادر نجد كتاب "منهاج السُّنة النبوية" الذي شكَّل حجر الزاوية لدراسته؛ حيث يتتبَّع فيه ابن تيميَّة نقده لأُطروحات الشيعة الإماميَّة، ويُفنِّد من خلاله فكرة العصمة والنص الإلهي التي يقوم عليها مفهوم الإمامة عندهم.

كما اعتمَدَ لاووست على كتاب "السياسة الشرعيَّة" الذي يُعتَبر وثيقة عمليَّة تُبيِّن كيفيَّة تناول ابن تيميَّة لمسألة الحكم والسياسة من منظور شرعي وواقعي، ومن خلال تحليله لنصوص هذا الكتاب، يرى لاووست أن ابن تيميَّة قدَّم الإمامة على أنها وظيفة عمليَّة تَرتبط بتحقيق المصالح العامَّة للمسلمين، وليس مَنصبًا يُستمَدُّ من اختيار إلهي.

إلى جانب المصادر الأصليَّة استعان لاووست بكتابات الفِرق الإسلاميَّة الأخرى مثل مؤلَّفات المعتزِلة والشيعة، ليُقارن بينها وبَيْن موقف ابن تيميَّة، وفي هذا الصدد فإن اعتماده على المقارنة بَيْن النصوص أتاح له بناء صورة متكاملة، وإن كانت مَشوبة ببعض التحيُّزات التي ظهرت في تفسيره لطرح ابن تيميَّة، سأُوضحها بالتفصيل في المحاور اللاحقة.

ثانيًا: المنهج العلمي:

يُظهر هنري لاووست في دراسته –وهي جزء من رسالة دكتوراه–

(١) كلامه حول مصادره التي اعتمد عليها مبَيَّن في مقدمة كتابه (نظريات شيخ الإسلام ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع)، وأيضًا في قائمة المصادر آخر الكتاب، وهو يؤكد على هذه المصادر في متن كتابه.

لمذهب ابن تيميَّة في الإمامة تكاملًا منهجيًّا يَجمَع بَيْن المنهج التاريخي لتتبُّع السياق السياسي والفكري، والمنهج الوصفي لعرض وتحليل نصوص ابن تيميَّة بدقَّة، والمنهج المقارن للموازنة بَيْن آرائه ومذاهب أخرى، خاصَّة الشيعة الإماميَّة وفقهاء السُّنة، كما اعتَمَد المنهج النقدي في تقييمه لرؤية ابن تيميَّة، وإن شاب نقدَه بعضُ التأويلات الغربيَّة التي أغفلت البُعد العقدي، هذا التكامل مكَّنَه من تقديم دراسة متماسِكة تَجمَع بَيْن الوصف والتحليل والنقد، سأُوضحه كالآتي:

١.المنهج التاريخي:

لاووست اعتَمَد المنهج التاريخي[١] في تتبُّع التطور الفكري لابن تيميَّة، ودراسة سياق الأحداث التي أثَّرَت على آرائه حول الإمامة، فهو لا يدرُس فكر ابن تيميَّة بمعزِل عن الظروف السياسيَّة والاجتماعيَّة التي عاش فيها، ويتلخَّص هذا في نقطتين كالآتي:

النقطة الأولى: الربط بالصراع السياسي:

لاووست يُشير إلى أن ابن تيميَّة عاصَرَ فترة التدهور السياسي والفتن الناشئة نتيجة اجتياح التتار، وتفكُّك الخلافة، مما جعله يُطور تصوُّرًا للإمامة عمليًّا، وليس نظريًّا فقط، بوصفها نظامًا سياسيًّا يهدِف لتحقيق المصلحة العامَّة، واستعادة النظام والسُّلطة الإسلاميَّة[٢].

الشاهد: لاووست يذكُر أن فكر ابن تيميَّة حول الإمامة جاء كرد فِعل على الواقع المتدهور؛ حيث يقول:

"Cette démarche intellectuelle l'a conduit à approfondir et à développer le concept de l'État islamique, en réaction à la conception de l'imamat

(١) عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص٣٢٢.

(٢) ويؤكد هذا: محمَّد جلال شرف وعلي عبد المعطي، الفكر السياسي، ص١٨.

présentée par Al-Muhaqqiq Al-Hilli dans son ouvrage Minhaj Al-Karama"[1]

"قادته هذه الرحلة الفكريَّة إلى تعميق وتطوير مفهوم الدولة الإسلاميَّة، كرد فعل على تصور الإمامة الذي قدَّمه المحقق الِحلي في كتابه 'منهاج الكرامة".

تحليل: يُظهر لاووست هنا أن الظروف السياسيَّة التي عايَشَها ابن تيميَّة أثَّرت بوضوح على آرائه حول الإمامة والدولة؛ حيث قدَّم رؤية تستجيب للمتغيِّرات الواقعيَّة بدلًا من الغرق في الأُطُر النظريَّة التقليديَّة.

النقطة الثانية: رؤية ابن تيميَّة للإمامة كمحاولة عمليَّة لمعالجة الواقع السياسي المتدهور:

لاووست يرى أن ابن تيميَّة ركَّز على الإمامة كوظيفة تهدف إلى إعادة الاستقرار السياسي والديني، بدلًا من كونها نظريَّة إلهيَّة، أو عقائديَّة كما عند الشيعة، وبالتالي فإن اهتمامه ينطلق من معالجة الأزمات السياسيَّة التي ضرَبَت العالَم الإسلامي في زمنه[٢].

(١) Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya, p 280.

(٢) ابن تيميَّة، العقيدة الواسطية، ص١٧.

الشاهد:

Hormis son ouvrage Minhaj as-Sunna... Ibn Taymiyya n'a abordé cette question que dans le cadre d'une présentation plus large de la nature de l'État, de ses formes et de ses caractéristiques... En examinant les œuvres d'Ibn Taymiyya sous l'angle de la sociologie politique islamique, la question de l'imamat apparaît comme une fonction pratique dans sa compréhension de l'État et de son rô*le general"* [(1)].

"بعيدًا عن كتابه 'منهاج السُّنة'... لم يتناول ابن تيميَّة هذه القضية إلا في سياق عرض أوسع لطبيعة الدولة وأشكالها وخصائصها... عند النظر إلى أعمال ابن تيميَّة من زاوية علم الاجتماع السياسي الإسلامي؛ فإنَّ قضية الإمامة تتجلَّى كمسألة وظيفيَّة ضمنَ فَهْمه للدولة ووظيفتها العامَّة".

تحليل: يرى لاووست أن ابن تيميَّة عالج الإمامة في ضوء الأزمة السياسيَّة، فأعطاها طابعًا وظيفيًّا عمليًّا، وليس تنظيرًا فلسفيًّا، هذا التوَجُّه يعكس بوضوح سَعْيَه لإيجاد حلول للتحديات السياسيَّة التي واجَهَها المسلمون في عصره.

بناءً على هذين الموضعين، يُمكن الاستنتاج بأن لاووست يربط بَيْن أفكار ابن تيميَّة حول الإمامة والسياق السياسي الذي تميَّز بالتدهور إثْرَ اجتياح التتار، وتفَتُّت الخلافة الإسلاميَّة، وهو ما شكَّل دافعًا جوهريًّا لطرح ابن تيميَّة رؤية عمليَّة وواقعيَّة لقضية الإمامة.

بعض الباحثين رأَوْا أن لاووست أفرَطَ في تفسير مواقف ابن تيميَّة

(١) Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya. p 282.

من منطلَق تاريخي فقط دونَ إعطاء البُعد العقدي والتشريعي حقَّه[١]، والواقع يقول خلاف ذلك من خلال ما وضَّحتُه آنفًا.

٢. المنهج الوصفي:

استخدم هنري لاووست المنهج الوصفي في تحليل آراء ابن تيميَّة حول الإمامة؛ وذلك من خلال عرض النصوص وتحليلها بموضوعيَّة ودقَّة، هذا المنهج مكَّنه من تقديم رؤية متكاملة لموقف ابن تيميَّة من الإمامة، بعيدًا عن التحيُّزات الواضحة، على الرغم من بعض التأويلات التي قد تُفهَم من منظور غربي، وسأُوضح ذلك فيما يأتي:

أ- الإمامة كوظيفة شرعيَّة وليست جزءًا من العقيدة:

من بَيْن أبرز ما وَصَفه لاووست حول موقف ابن تيميَّة، هو تركيزه على الإمامة باعتبارها وظيفة شرعيَّة تُحقق مصالح الأُمة، ولا تندرج ضمنَ أركان العقيدة كما في الفكر الشيعي.

يقول لاووست:

"Les raisons générales avancées par Al-Muhaqqiq Al-Hilli pour soutenir l'idée de la prophétie،،، contribuent également à démontrer le caractère obligatoire de l'imamat، Dans cette perspective, l'imamat est présenté comme une fonction légale visant à assurer la continuité du leadership au sein de la communauté islamique"[(2)].

"الأسباب العامَّة التي قدَّمها المحقق الحِلي لدعم فكرة النبوة،،، تُسهم

---

(١) وأعني بهؤلاء: عبد الرحمن بدوي في ترجمته لهنري لاووست في كتابه: موسوعة المستشرقين، ص٥١٠، وحسان بن إبراهيم الدريعان، في بحثه: آراء ابن تيميَّة العقدية عند المستشرق الفرنسي هنري لاووست دراسة نقدية، ص١٠.

(٢) Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya.

أيضًا في إثبات وجوب الإمامة، ومن هذا المنطلَق، يتم تقديم الإمامة كوظيفة شرعيَّة تهدف إلى ضمان استمراريَّة القيادة في الأمة الإسلاميَّة".

ويُضيف:

"La doctrine sunnite a convenu du caractère obligatoire de l'imamat, mais la nature de cette obligation était comprise de manière différente..." [(1)].

"العقيدة السُّنيَّة أجمعت على الطابع الإلزامي للإمامة، لكن طبيعة هذا الالتزام كان يُفهَم بشكل مختلف".

يتضحُ من هذه العبارات أن لاووست يصِف مفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة بأنها وظيفة عملية تُعنى بالمصلحة العامَّة، وترتبط بالشرع وليس بالنص الإلهي، كما هو الحال في الفكر الشيعي الإمامي[(٢)].

ب-مفهوم الإجماع عند ابن تيميَّة:

يرى لاووست أن ابن تيميَّة أعاد توظيف مفهوم "الإجماع" كأداة عمليَّة وواقعيَّة تُحقق الوَحدة السياسيَّة، وتُجنِّب الفوضى، دونَ أن يُغرق في الجمود العقدي، أو التنظير المثالي.

يقول:

"Sa conception particulière du consensus lui permet d'affirmer que les Compagnons n'ont jamais reconnu le caractère absolument obligatoire du califat..." [(3)].

"تصوره الخاص بالإجماع يسمح له بالقول: إن الصحابة لم يعترفوا أبدًا بالإلزاميَّة المطلَقة للخلافة..."

---

(1) Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya.

(٢) ابن تيميَّة، العقيدة الواسطية، ص١٧.

(3) Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya.

هذا الوصف يُظهر أن ابن تيميَّة اعتمد على الإجماع كأحد المرتكَزات في النظام السياسي الإسلامي، بعيدًا عن مفهوم العصمة الإلهيَّة الذي تَطرحه الشيعة الإماميَّة، وهذا ما تأكَّد في كتاب ابن تيميَّة "منهاج السُّنة"(١).

ت-النجاح في تقديم صورة متكاملة:

لاووست من خلال عرضه الوصفي لنصوص ابن تيميَّة مثل "منهاج السُّنة النبوية"، و"السياسة الشرعيَّة" قدَّم صورة واضحة لفكر ابن تيميَّة حول الإمامة، فهو يوضح أن ابن تيميَّة كان ينظُر إلى الإمامة بوَصْفها أداة لتحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي ضمنَ إطار الشرعيَّة الإسلاميَّة، وليس مجرَّد منصب رمزي أو مثالي.

وهو بذلك يقول:

"Du point de vue d'Ibn Taymiyya, les débats doctrinaux sur la nature de l'imamat n'ont commencé qu'au cours du califat d'Ali،،، Cependant, la proclamation de la nécessité légale du califat place les croyants devant deux choix" (2).

"من منظور ابن تيميَّة، النقاشات العقائديَّة حول طبيعة الإمامة لم تبدأ إلا خلال خلافة عَلي... لكن إعلان الحاجة الشرعيَّة للخلافة يعني وضع المؤمنين أمام خيارين...".

هذا الطرح يكشف براعة لاووست في توظيف المنهج الوصفي لتحليل نصوص ابن تيميَّة في سياقها الواقعي والشرعي.

خلاصةُ ما سبق، اعتمَدَ هنري لاووست المنهج الوصفي بدقَّة

---

(١) منهاج السُّنة، ج١٢، ص١٤٧.

(2)Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya.

وموضوعيَّة؛ حيث قدَّم من خلاله قراءة تحليليَّة متماسكة لموقف ابن تيميَّة من الإمامة، ركَّز لاووست على دور الإمامة كوظيفة شرعيَّة مرتبطة بالمصلحة العامَّة، وأبرز توظيف ابن تيميَّة لمفهوم الإجماع كوسيلة لتحقيق الاستقرار السياسي، هذه المقاربة جعَلَت من دراسة لاووست مرجعًا مهمًّا للباحثين في الفكر السياسي الإسلامي، وإن كانت لا تخلو من بعض التأويلات التي تُسقِط مفاهيم غربيَّة على الفكر الإسلامي.

٣. المنهج المقارن:

اعتمَدَ هنري لاووست في تحليله لموقف ابن تيميَّة من الإمامة على المنهج المقارن؛ حيث عقَدَ مقارنات بَيْن المذهب السُّني والمذهب الشيعي، كما قارَنَ بَيْن آراء ابن تيميَّة وطرح فقهاء السُّنة التقليديين، مما أظهر تفرُّد ابن تيميَّة في نظرته الواقعيَّة والوظيفيَّة للإمامة.

أ- المقارنة بين المذهب السُّني والشيعي:

- **رفض فكرة النص الإلهي:**

يُشير لاووست إلى أن مفهوم الإمامة عند الشيعة الإماميَّة يقوم على النص الإلهي والعصمة، وهو ما يُعتَبر عندَهم ركنًا أساسيًّا من أركان العقيدة.

يقول:

"Comme l'enseigne ce grand théologien (Al-Hilli), l'imam infaillible doit être désigné par un texte explicite, et sa mission, depuis la mort du Prophète, est de préserver la loi en tant qu'interprète suprême, seul intermédiaire autorisé entre Dieu et Ses creatures"[1] .

"كما يعلِّم هذا اللاهوتي العظيم (الحِلي)، يجب أن يُعيَّن من خلال نص

(1)Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya.

صريح الإمام المعصوم، الذي تكون مهمته منذ وفاة النبي هي الحفاظ على القانون كالمفسِّر الأسمى له، الوسيط الوحيد المصرَّح به بَيْن الله وخَلْقه".

- **الإمامة كوظيفة شرعيَّة:**

في مقابل الطرح الشيعي الذي يربط الإمامة بالنص والعصمة، يرى لاووست أن ابن تيميَّة يُقدِّم الإمامة على أنها وظيفة شرعيَّة قائمة على تحقيق مصالح الأُمة(١).

"L'imamat n'est pas une institution fondée sur l'infaillibilité et le texte, comme le prétendent les chiites, mais une fonction sociale dont l'objectif est d'établir l'ordre légal et de réaliser l'intérêt des musulmans".(2)

"الإمامة ليست مؤسَّسة قائمة على العصمة والنص كما يقول الشيعة، بل هي وظيفة اجتماعيَّة هدفها إقامة النظام الشرعي، وتحقيق مصلحة المسلمين".

- **نقد فكرة الإمام المعصوم:**

ينتقد ابن تيميَّة بشكلٍ حادٍّ فكرةَ العصمة عند الشيعة، ويَعتبر أن امتداد صفة العصمة للأئمَّة هو أصل البِدع والانحرافات(٣).

يقول لاووست:

"La théologie, la science de la prophétie et la méthodologie d'Ibn Taymiyya contribuent à réfuter la doctrine chiite de l'infaillibilité de l'imam، Le Minhaj as-

(١) نظريات شيخ الإسلام ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع، الفصل الثالث: الإمامة والدولة، ص٢٠١.

(2)Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya

(٣) منهاج السُّنة النبوي، ج٦، ص٤٣٥.

Sunna examine la thèse d'Al-Hilli avec des critiques plus explicites"

"علم اللاهوت، وعلم النبوة، ومنهجيَّة ابن تيميَّة يُسهمون في دحض عقيدة الشيعة المتعلِّقة بعصمة الإمام، يناقش منهاج السُّنة أطروحة الِحلي بانتقادات أكثر وضوحًا".

يُظهر لاووست أن ابن تيميَّة ركَّز على الجانب الواقعي للإمامة، مُعتبِرًا أن الإمام ليس بحاجة إلى العصمة لتحقيق دوره؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى جمود فكري، وتعطيل لمبدأ الاجتهاد.

ب-المقارنة مع فقهاء السُّنة التقليديين:

- **التفرُّدُ عن الماوردي والفقهاء التقليديين:**

يُبرز لاووست اختلاف ابن تيميَّة عن فقهاء السُّنة التقليديين، أمثال الماوردي وأبي يَعْلى، الذين نظروا إلى الإمامة بوصفها واجبًا نظريًّا.

يقول لاووست:

"Ibn Taymiyya était bien informé des œuvres classiques de la jurisprudence politique sunnite, mais il s'est distingué en s'écartant de la tradition sur plusieurs points, ce qui a conféré à son approche un caractère unique"(1)

"لقد كان ابن تيميَّة مطلعًا على الأعمال الكلاسيكيَّة في الفقه السياسي السُّني، لكنه تميَّز في الوقت نفسه بخروجه عن التقليد في عدة نقاط، مما أضفى طابعًا فريدًا على مقاربته".

- **الإمامة كوظيفة عمليَّة:**

بينما ركَّز الفقهاء التقليديون على شروط الإمامة المثاليَّة، تعامل ابن

(1)Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya

تيميَّة مع الإمامة بوصفها وظيفة عمليَّة تَهدِف إلى تحقيق النظام والاستقرار(١).

يقول لاووست:

"La sociologie politique de l'islam, avec Ibn Taymiyya, s'est orientée vers des formes plus adaptées à la division géographique de l'islam, où l'imamat est devenu une fonction à caractère pratique et fonctionnel"

"توجَّهت السوسيولوجيا السياسيَّة للإسلام مع ابن تيميَّة نحو صيغ أكثر ملاءمة لتقسيم الإسلام الجغرافي؛ حيث تحوَّلت الإمامة إلى وظيفة ذات طابع عملي وظيفي".

- **رد مفهوم الهيئة الانتخابيَّة:**

يُشير لاووست إلى أن ابن تيميَّة رَفَض بعض جوانب العقيدة السُّنيَّة التقليديَّة مثل: الهيئة الانتخابيَّة (أهل الحَل والعَقد)، معتَبِرًا أنها قد تؤدي إلى تكرار الأنماط الشكليَّة للسُّلطة:

"Cette doctrine, apparemment, établit la souveraineté légale d'un corps organisé, à savoir Ahl al-Hall wa al-'Aqd،،، Ce qu'Ibn Taymiyya a rejeté, le considérant comme menant à un clergé véritable semblable à celui de l'Église".(2)

"هذه العقيدة –حسبَ ما يبدو– تؤسِّس السيادة القانونيَّة لهيئة منظمة، وهي أهل الحل والعقد،،، وهو ما رفضه ابن تيميَّة باعتباره يؤدي إلى إكليروس حقيقي يُشْبه الكنيسة".

---

(١) نظريات شيخ الإسلام ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع، الفصل الثالث: الإمامة والدولة، ص٢٠١.

(2)Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya

خلاصةُ ما سبق؛ أنَّ هنري لاووست قارنَ بشكل دقيق بَيْن موقف ابن تيميَّة والطرح الشيعي التقليدي، وكذلك بَيْنَه وبَيْن فقهاء أهل السُّنة، وقد أظهر لاووست أن ابن تيميَّة قدَّم الإمامة بوصفها وظيفة شرعيَّة واقعيَّة تسعى لتحقيق مصالح الأُمة بعيدًا عن التنظير المثالي الذي ركَّز عليه الشيعة والفقهاء التقليديون.

هذا الطرح جَعَل من رؤية ابن تيميَّة مقاربة متفرِّدة تجمَع بَيْن الشرعيَّة الدينيَّة والواقعيَّة السياسيَّة، وهو ما ركَّز عليه لاووست من خلال تحليلاته ومقارناته العميقة.

٤. المنهج النقدي:

اعتَمَد هنري لاووست في دراسته لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة منهجًا نقديًّا عميقًا، ركَّز من خلاله على تحليل أبعادها السياسيَّة والاجتماعيَّة، محاولًا تسليط الضوء على ما اعتَبَره "واقعيَّة مُفرِطة" في طرح ابن تيميَّة، استخدم لاووست هذا الوصف ليُبرز تركيز ابن تيميَّة على الجانب العملي للإمامة باعتبارها وسيلة لتحقيق استقرار المجتمع الإسلامي، لكنَّه أغفل الجانب العقدي العميق الذي يُشكِّل جوهر رؤيته.

أ-نقد الواقعيَّة العمليَّة عند ابن تيميَّة:

يرى لاووست أن ابن تيميَّة نظَرَ إلى الإمامة من زاوية عمليَّة بَحْتة، بعيدًا عن المثاليَّة التي كانت تُميِّز بعض المذاهب الأخرى، خاصَّة الشيعة الإماميَّة، يقول لاووست:

"Pour Ibn Taymiyya, l'imamat est avant tout une fonction pratique, orientée vers la gestion des affaires communautaires et la préservation de l'ordre."

"بالنسبة لابن تيميَّة، الإمامة في المقام الأول وظيفة عمليَّة موجَّهة نحو إدارة شؤون المجتمع والحفاظ على النظام".

لكن هذا الوصف يُغفل حقيقة أن ابن تيميَّة لم يكن يُقصي المثاليَّة،

بل دمجها في رؤيته الواقعيَّة بطريقة تستجيب لمقاصد الشريعة الإسلاميَّة؛ إذ إنَّ تركيزه على "القوة"، و"الشوكة" لا يعكس انحرافًا عن العقيدة، بل هو تأكيد على ضرورة تحقيق المصالح الشرعيَّة ودَرْء المفاسد(١).

ب-إسقاط المفاهيم الغربيَّة على فكر ابن تيميَّة:

من أبرز الإشكالات المنهجيَّة في نقد لاووست أنه تأثَّر بالفكر الغربي، خاصَّة في فَهْمه للمفاهيم الإسلاميَّة، يَظهر ذلك جليًّا في محاولته إسقاط مفهوم الواقعيَّة السياسيَّة (الذي يتقاطع مع البراغماتيَّة الغربيَّة) (٢) على تحليل رؤية ابن تيميَّة للإمامة، يصِف لاووست طرح ابن تيميَّة بأنه بعيد عن المثاليَّة؛ حيث يقول:

"La pensée d'Ibn Taymiyya sur l'imamat reflète une approche orientée vers les résultats, comparable à des concepts modernes de gouvernance fonctionnelle."

"تفكير ابن تيميَّة حول الإمامة يعكس نهجًا موجهًا نحو النتائج، وهو ما يمكن مقارنته بمفاهيم حديثة للحكم الوظيفي".

لكن هذا الوصف يفتقر إلى الدقَّة؛ لأن ابن تيميَّة لم ينطلق من مفاهيم مستوردة، بل من أصول إسلاميَّة تعكس فَهمًا شاملًا للعقيدة والشريعة، إنَّ مقاربة ابن تيميَّة لا تقتصر على البُعد العملي، بل ترتبط

---

(١) منهاج السُّنة النبوية، ج١، ص٥٥١.

(٢) مذهب فلسفي نشأ في الولايات المتحدة أواخر القرن التاسع عشر على يد الفلاسفة تشارلز ساندرز بيرس ووليام جيمس وجون ديوي. ترتكز البراغماتية على فكرة أن الحقيقة والمعرفة ليست مطلقة، بل هي أدوات عملية تُختبر بمدى نفعها وفعاليتها في حل المشكلات. تُركز البراغماتية على النتائج العملية والمعنى العملي للأفكار والمعتقدات، وتعتبر أن القيم والمعاني تتغير بتغير الظروف والاحتياجات. انظر: بيرس، تشارلز ساندرز .*الأعمال الكاملة* .ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار المعارف، ١٩٩٣م.

بجذور عقديَّة تنطلق من التوحيد والشريعة، وهو ما يتعارض مع الأُسس الغربيَّة التي تفصل بَيْن الدين والسياسة.

ت-إغفال الجانب العقدي في الطرح النقدي:

يرى لاووست أن تركيز ابن تيميَّة على الإمامة كوظيفة مرتبطة بالمصلحة العامَّة يُضعف من مثاليَّة مفهوم الإمامة في الفكر الإسلامي، ويجعلها أقربَ إلى نظام إداري منه إلى نظام شرعي، يقول:

"Dans la vision d'Ibn Taymiyya, l'imamat semble perdre sa dimension sacrée pour devenir un simple outil au service de la communauté."

"في رؤية ابن تيميَّة، يبدو أن الإمامة تفقد بُعدها المقدس لتصبح مجرد أداة في خدمة المجتمع".

لكن هذا النقد يتجاهل أن ابن تيميَّة كان ينطلق من رؤية إسلاميَّة تُعرِّف الإمامة بوصفها وسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة، إنَّ التوازن الذي قدَّمه ابن تيميَّة بَيْن الشرعيَّة العقديَّة والوظيفة العمليَّة للإمامة يُظهر فَهمًا عميقًا للدور الذي يجب أن تلعبه الإمامة في تنظيم المجتمع الإسلامي(١).

نقد على نقد لاووست:

من خلال إسقاطاته الفكريَّة المتأثِّرة بالمفاهيم الغربيَّة، وخاصَّة الواقعيَّة السياسيَّة، يُظهر لاووست فَهمًا محدودًا للسياقات العقديَّة التي انطلق منها ابن تيميَّة، إنَّ تركيز لاووست على البُعد السياسي والاجتماعي أغفل الجانب العقدي الذي يُعتبَر أساس رؤية ابن تيميَّة؛ لذلك فإنَّ وصفه لرؤية ابن تيميَّة بأنها "واقعيَّة مُفرِطة" يعكس فَهمًا غير متوازِن يختزل فكر ابن تيميَّة في بُعده السياسي فقط.

الخلاصة أن هنري لاووست أظهر براعةً نقديَّةً في تحليل أبعاد

(١) عبد القادر العجيلي النجار، الإمامة عند ابن تيميَّة، ص٢١٥.

الإمامة عند ابن تيميَّة، لكنَّه وَقَع في إسقاطات غربيَّة قلَّلت من موضوعيَّة طرحه.

المحور الثاني: مدى توافق تحليل لاووست لمفهوم الإمامة مع السياقات الفكريَّة والعقديَّة لابن تيميَّة:

يتناول المحور مدى توافُق تحليل هنري لمفهوم الإمامة مع السياقات الفكريَّة والعقديَّة التي انطلق منها ابن تيميَّة، ويهدِف إلى استعراض رؤية ابن تيميَّة للإمامة بوصفها وظيفة شرعيَّة واجتماعيَّة تهدِف لتحقيق مقاصد الشريعة، مع بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بَيْن الطرحَين، يُسلط المحور الضوء على كيفيَّة قراءة لاووست للإمامة في فكر ابن تيميَّة من منظور تاريخي واجتماعي، مع تقييم مدى فَهْمه للأبعاد العقديَّة التي شكَّلت رؤية ابن تيميَّة.

أولًا: رؤية ابن تيميَّة للإمامة:

١. الإمامة في فكر ابن تيميَّة: مفهومها وأهميَّتها:

في رؤية ابن تيميَّة، الإمامة ليست غاية بحدِّ ذاتها، بل وسيلةٌ لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلاميَّة من إقامة العدل، وحِفظ النظام، وتحقيق مصالح الأُمة، هذا المفهوم يجعل من الإمامة وظيفة عمليَّة تهدِف إلى تحقيق الخير العام للمجتمع الإسلامي بدلًا من كونها مَنصبًا مقدَّسًا مرتبطًا بالعقيدة، وقد عارض ابن تيميَّة بشدَّة الربط بَيْن الإمامة والعقيدة كما فعَلَت الشيعة؛ إذ يرى أن الإيمان بالله ورسوله هو أساس الدين، ولا يُمكن جَعْل الإمامة شرطًا لصحَّة الإيمان أو الإسلام.

يؤكد ابن تيميَّة أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لم يجعل الإمامة جزءًا من أركان الإيمان، بل اكتفى بالإشارة إلى أهميَّتها كوسيلة لضمان الاستقرار

وإقامة الدين، وبذلك فصل بَيْن وظيفة الإمامة والعقيدة، معتَبِرًا أن ربطهما يؤدي إلى الغُلو، والتفرقة بَيْن المسلمين(١).

٢. الأسس الشرعيَّة للإمامة:

اعتمَدَ ابن تيميَّة على أدلَّة شرعيَّة وعقليَّة لتأصيل رؤيته عن الإمامة من الناحية الشرعيَّة، استدلَّ بالآيات القرآنيَّة مثل قوله -تعالى-: "**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**" [النساء: ٥٩]، كما استشهد بأحاديث نبويَّة تدُل على ضرورة وجود القيادة مثل حديث: "إذا خَرَجَ ثلاثةٌ في سَفرٍ فلْيُؤَمِّروا أحدَهم"(٢)، هذه النصوص تؤكد أهميَّة القيادة كضرورة لضمان وَحدة المسلمين، وتنظيم شؤونهم(٣).

أما من الناحية العقليَّة؛ فقد شبَّه ابن تيميَّة حاجة الناس إلى إمام بحاجتهم إلى رأس يقود الجسد، مؤكِّدًا أن الاجتماع البشري لا يُمكن أن يستقيم دون قيادة صالحة، يرى ابن تيميَّة أن الإمام ليس مجرَّد قائد سياسي، بل هو مسؤول عن تحقيق العدل، وإقامة أحكام الدين في المجتمع(٤).

٣. شروط الإمام في فكر ابن تيميَّة:

(١) منهاج السُّنة النبوية، ج١، ص٤٧.

(٢) رُوِي الحديث عن عدد من الصحابة، منهم أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص. أخرجه أبو داود في "سننه" (حديث رقم: ٢٦٠٨)، والطبراني في "المعجم الأوسط" (حديث رقم: ٨٠٩٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (حديث رقم: ١٠٦٥١). وقد حسَّنه الألباني في "صحيح أبي داود" (حديث رقم: ٢٦٠٨).

(٣) السياسة الشرعية، ص١٨٢-١٨٣.

(٤) ابن تيميَّة، الحسبة، ص٣-٤.

اشترط ابن تيميَّة توفر عدد من الصفات في الإمام ليكون قادرًا على أداء مهامه بكفاءة، هذه الشروط تشمَل العلم، والعدل، والقوة، والشجاعة، والاجتهاد، والمشاورة وإمكانيَّة تحقيق المصلحة العامَّة(١).

٤. طرق اختيار الإمام:

طرح ابن تيميَّة عدَّة طرق لاختيار الإمام، مما يعكس مرونة نظام الحكم الإسلامي الطريقة الأولى هي النص، كما حَدَث في اختيار أبي بكر الصِّديق بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، الطريقة الثانية هي العهد؛ حيث عهِد أبو بكر بالخلافة لعمر بن الخطاب، والطريقة الثالثة هي الاختيار والبَيْعة، كما حدث في اختيار عثمان، وعلي رضي الله عنهم(٢).

٥. وظائف الإمام ومسؤوليَّاته:

حدَّد ابن تيميَّة وظائف الإمام بشكل واضح، مشدِّدًا على أهميَّة إقامة العدل كأهم وظيفة استدلَّ على ذلك بقوله –تعالى–: "**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**" [النساء: ٥٨]، كما أشار إلى مسؤوليَّة الإمام في حفظ الأمن، وتطبيق الحدود الشرعيَّة، ومُجابَهة الظلم والفساد(٣).

٦. رد ابن تيميَّة لمفهوم الإمامة الشيعيَّة:

انتقَدَ ابن تيميَّة بشدَّة المفهوم الشيعي للإمامة، خاصَّة فيما يتعلَّق بالعصمة والنص الإلهي، يرى أن هذه التصوُّرات تبتعد عن الشريعة الإسلاميَّة، وتفتح الباب للغُلو والتفرِقة بَيْن المسلمين، كما رَفَض الربط بَيْن الإمامة وأصول الدين، مؤكِّدًا أن النصوص الشرعيَّة لا تدعم هذا الربط(٤).

---

(١) عبد القادر العجيلي النجار، الإمامة عند ابن تيميَّة، ص٢٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٢٦.

(٤) منهاج السُّنة النبوية، ج١، ص٣٠-٣١.

ثانيًا: أوجه التوافق والاختلاف بَيْن تحليل لاووست ورؤية ابن تيميَّة:

تتجلَّى أوجه التوافق والاختلاف بَيْن تحليل لاووست ورؤية ابن تيميَّة في عدَّة محاور، تكشف عن عمق التداخل بَيْن الفَهمين الشرعي والفلسفي، يوضح الجدولان الآتيان أوجه التوافق وأوجه الاختلاف بشكل منفصِل، مع تعليقات مختصَرة تُسلط الضوء على مدى فَهْم أو عدم فَهْم لاووست لآراء ابن تيميَّة في كل محور.

١. أوجه التوافق:

المحور	ابن تيميَّة	هنري لاووست	النقاش والتعليق
العصمة والنص	يرى أن العصمة خروج عن أصول الإسلام، ويؤكد على الشورى والاجتهاد.	يرفض العصمة وينتقدها كإحدى النقاط الأساسية في المذهب الشيعي.	اتفاق في رفض العصمة، لاووست من زاوية تاريخيَّة، وابن تيميَّة من زاوية شرعيَّة.
أهميَّة الإصلاح الاجتماعي	يركز على الإمامة كوسيلة لتحقيق العدل وحفظ النظام الشرعي.	يؤكد على وظيفة الإمامة في تحقيق العدالة الاجتماعيَّة وإدارة شؤون الناس.	كلاهما يرى أن الإمامة أداة لتحقيق الاستقرار، وإن اختلفت الخلفيَّات الفكريَّة.
مرونة اختيار الإمام	يدعو إلى اختيار الأصلح وفقَ شروط شرعيَّة	يُبرز مرونة ابن تيميَّة في تقديم الأصلح للإمامة بغض النظر عن العصبيَّة القَبليَّة.	اتفاق حول أهميَّة الكفاءة في اختيار الإمام، لكن تفسير المرونة يختلف.

النتيجة: نلاحظ أن هنري فَهِم ابن تيميَّة، ووافق تحليله في وظيفة الإمامة ونقد العصمة، وأهميَّة الشورى، والمرونة في اختيار الإمام.

٢. أوجه الاختلاف:

الصفة	ابن تيميَّة	هنري لاووست	النقاش والتعليق
مفهوم الإمامة.	وظيفة سياسيَّة واجتماعيَّة تُنظم المجتمع دون أن تكون بالضرورة دينيَّة.	جزء من الدين ووسيلة شرعيَّة لإقامة العدل وإدارة شؤون المسلمين.	لاووست يفصل بَيْن الديني والسياسي، بينما يدمجهما ابن تيميَّة.
مصادر الشرعيَّة.	الشرعيَّة تبدأ من النصوص الشرعيَّة وتتحقق بالبَيْعة والشوكة.	تركز على القوة والبَيْعة كعناصر رئيسيَّة في شرعيَّة الإمام.	ابن تيميَّة يوازن بَيْن النصوص والقوة، بينما لاووست يركز على الجانب العملي فقط.
العلاقة بَيْن الدين والسياسة.	يدمج الدين والسياسة كجزء من نظام شامل لحفظ الدين والدنيا.	يرى أن ابن تيميَّة يفصل جزئيًّا بَيْن الدين والسياسة؛ حيث تصبح الإمامة أداة عمليَّة لإدارة شؤون المجتمع.	اختلاف جذري في المنظور؛ حيث يتأثر لاووست بالفكر الغربي، بينما يبقى ابن تيميَّة في إطار الرؤية الإسلاميَّة الشاملة.
نقد الجمود العقائدي.	يرى أن مرونته تستند إلى نصوص شرعيَّة وقواعد دينيَّة، مما يجعلها موجَّهة لتحقيق المصلحة العامَّة.	يَعتبر أن مرونة ابن تيميَّة تتجاوز الحدود التقليديَّة، مما يجعلها أشبهَ بالبراغماتيَّة.	لاووست يُفسر مرونة ابن تيميَّة بمعايير غربيَّة، بينما ابن تيميَّة يراها تطبيقًا للنصوص الإسلاميَّة.

النتيجة: نلاحظ هنا أن هنري لم يَفهم ابن تيميَّة، ولم يوافق رأيَه بأن النصوص الشرعيَّة كانت الأساس، وأن القوة وسيلة شرعيَّة لتحقيق مقاصد الشريعة، ونقده للشيعة باعتباره نقدًا موضوعيًّا، ورؤيته الشاملة التي جمعت بَيْن التاريخ والشريعة.

المحور الثالث: أثر الخلفيَّة الثقافيَّة والفكريَّة للاووست على فَهْمه وتأويله لمذهب ابن تيميَّة:

يستعرض هذا المحور تأثير الخلفيَّة الثقافيَّة والفكريَّة الغربيَّة على فَهْم هنري لاووست لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة؛ حيث يظهر إسقاط لاووست لمفاهيم غربيَّة مثل: اليوتوبيا، ونظريَّة العقد الاجتماعي على رؤية ابن تيميَّة، ويهدِف المحور إلى تحليل مدى توافق هذه التأويلات مع السياقات الإسلاميَّة العقديَّة والعمليَّة، مع إبراز الانحرافات التي نتجت عن هذه الإسقاطات في تفسيره للإمامة كوظيفة شرعيَّة تُحقق مقاصد الشريعة.

أولًا: رؤية الفكر السياسي الغربي:

١. اليوتوبيا:

اليوتوبيا، أو المدينة الفاضلة، تُعبِّر عن تصوُّر خيالي لمجتمع مثالي يتجاوز واقع الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة، تنبُع فكرة اليوتوبيا من شعور بالضيق تجاهَ الواقع، ورغبة مُلِحَّة في تحسين ظروف الحياة، تُطرَح في إطارها أسئلة جوهريَّة تتعلَّق بكيفيَّة تحسين أسلوب حياتنا، والكشف عن عيوب المجتمع الحالي، واستكشاف الطرق الممكِنة لبناء مستقبل أفضل.

عبرَ التاريخ ظهرت العديد من صور اليوتوبيا البارزة، مثل جمهورية أفلاطون، التي تُقدم رؤية فلسفيَّة للمجتمع المثالي القائم على العدالة؛ والمدينة الفاضلة للفارابي، التي تجمَع بَيْن الحكمة والشريعة الإسلاميَّة، كما قدَّم توماس مور في عمله الأدبي يوتوبيا رؤية خياليَّة لمجتمع مثالي، بينما تصوَّر فرنسيس بيكون[١] في أطلنطس الجديدة عالَمًا مستقبليًّا يَسوده العلم

(١) فيلسوف إنجليزي وعالم تجريبي، يُعتبر مؤسس المنهج التجريبي الحديث. اشتهر بعمله في تطوير الفلسفة العلمية، حيث دعا إلى اتباع الطريقة العلمية في البحث المعرفي بدلاً من الاعتماد على التأملات الميتافيزيقية. من أشهر أعماله "أورغانون " =

والمعرفة، أما في العصر الحديث فقد عرض ولز رُؤًى مستقبليَّةً تتعلَّق بالتقدُّم العلمي والتكنولوجي في إطار مجتمعات يوتوبيَّة(١).

أصل الكلمة يعود إلى توماس مور، الذي اشتقَّها من الكلمتَين اليونانيَّتَين ou بمعنى "لا"، و topos بمعنى "مكان"، لتعني حرفيًّا "لا مكان"، مشيرًا بذلك إلى أن هذه المجتمعات المثاليَّة غير موجودة في الواقع(٢).

أنواع اليوتوبيا متعددة؛ فهناك اليوتوبيا الإيجابيَّة التي تُصور عوالم مثاليَّة تدعو للأمل والتغيير، والديستوبيا أو اليوتوبيا السلبيَّة التي تُقدم صورة لعالَم سيئ بهدف نقد المجتمع القائم، كما تتضمَّن أنواعًا أخرى مثل: الهجاء اليوتوبي، الذي ينتقد اليوتوبيا أو المجتمع الراهن، ومعاداة اليوتوبيا، التي ترفُض فكرة المجتمعات المثاليَّة بالكامل، وأخيرًا اليوتوبيا النقديَّة، التي تُقدم رؤية لعالَم أفضل، ولكنَّه مَليء بالتحديات التي قد تكون معقَّدة الحَل(٣).

في المجمَل تعكس فكرة اليوتوبيا نقدًا للواقع ورغبة في التغيير، سواءٌ من خلال تقديم رُؤًى إيجابيَّة محفزة، أو تحذيرات عبرَ التصوُّرات السلبيَّة، إنها دعوة مستمرة للتأمُّل في واقعنا، والسعي نحو عالَم أكثر عدالة وإنسانيَّة.

=

(*Novum Organum*)الذي قدم فيه منهجًا علميًا يعتمد على الاستقراء. كان أيضًا كاتبًا سياسيًا وعضوًا في البرلمان، وله إسهامات في الفلسفة الطبيعية والعلوم.

(١) صلاح إسماعيل، تصورات المدينة الفاضلة نحو عالم أفضل، ص٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٨.

(3)Gregory Claeys and Lyman Tower Sargent, eds. The Utopia Reader, New York and London: New York University Press, 1999, p. 2; Fátima Vieira, "The Concept of Utopia," in The Cambridge Companion to Utopian Literature, ed. Gregory Claeys. Cambridge: Cambridge University Press, 2010, pp. 3-27.

٢. نظريَّة العقد الاجتماعي:

فيما يلي أنموذج لنظريَّة العقد السياسي التي أسقطها هنري على موقف ابن تيميَّة، وهو توماس هوبز، للمثال لا للحصر، وهو ما أشار له مصطفى حلمي في مقدمته: توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩)[١] قدَّم رؤية فلسفيَّة متكاملة حولَ العقد الاجتماعي؛ حيث رأى أن المجتمع المنظَّم نشأ نتيجة اتفاق بَيْن الأفراد لنَقْلهم من حالة الفطرة والفوضى حالة التنظيم السياسي والاجتماعي، وقد برَّر ذلك من خلال تصوُّره لحالة الإنسان الطبيعيَّة، وما ترتَّب عليها من عقد اجتماعي[٢].

في البداية، وصف هوبز حالةَ الإنسان الفطريَّة بأنها حالة فوضويَّة يَسودها الصراع وشريعة الغاب، نتيجة لأنانية الإنسان وشهواته وطموحاته للسيطرة على الآخرين، كان الإنسان في هذه الحالة يعيش في خوفٍ دائمٍ بسبب غياب القوانين والسُّلطة التي تُنظم العلاقات بَيْن الأفراد، هذا الخوف والرغبة في الأمن والاستقرار دَفَع الأفراد إلى إدراك ضرورة التوصل إلى اتفاق فيما بينَهم لإقامة مجتمع منظَّم[٣].

---

(١) توماس هوبز فيلسوف إنكليزي، عاش ما بين الأعوام ١٥٨٨-١٦٧٩، في فترة اضطربت فيها الحياة السياسية في إنكلترا؛ حيث اغْتِيلَ الملك (هنري الرابع) عام ١٦١٠، وأُعدِم الملك (شارل الأول) عام ١٦٤٩، وشهدت تلك الفترة محاولات غزو من أعداء إنكلترا لأراضيها، كما شهدت أيضًا صراعًا شديدًا بين البرلمان بزعامة (كروميل)، وأسرة (إستيوارت) رمز الملكية المطلَقة في إنكلترا، ولأن هوبز كان من أنصار أسرة (إستيوارت)؛ فقد عمل على تقوية سُلطة الملك من خلال تبريره للحكم المطلَق.

(٢) رمزي الشاعر، الأيديولوجية وأثرها في الأنظمة السياسية المعاصرة، مطبعة عين شمس، ١٩٧٩، ص١٨، وثروت بدوي، النظم السياسية، ١٩٧٥، ص٢١٩.

(٣) محمَّد رفعت عبد الوهاب، النظم السياسية والقانون الدستوري، ص٣٧.

أطراف العقد –وَفقًا لهوبز– هم الأفراد أنفسهم الذين أبرموا العقد فيما بينَهم، مع استثناء شخص واحد اختاروه ليكون الحاكم، الحاكم لم يكُن طرفًا في العقد، بل هو الشخص الذي اتَّفق الأفراد على منحه السُّلطة الكاملة لإدارة شؤونهم وحمايتهم(١).

أما مضمون العقد؛ فقد تضمَّن تنازل الأفراد عن جميع حقوقهم الطبيعيَّة للحاكم في مقابل أن يوفر لهم الأمن والاستقرار، كان العقد ملزِمًا للأفراد فقط؛ حيث لم يشمل الحاكم أي التزامات تجاهَهم، هذا يعني أن الحاكم يتمتَّع بسُلطة مطلَقة وغير خاضعة للمساءلة؛ لأن الأفراد تنازلوا له عن حقوقهم مسبقًا، من وجهة نظر هوبز يجب على الأفراد الالتزام بطاعة الحاكم مهما كانت سياساته أو تصرُّفاته(٢).

باختصار، فلسفة هوبز تدافع عن فكرة العقد الاجتماعي كأساس لنقل الإنسان من الفوضى إلى التنظيم، لكنَّها تمنَح الحاكم سُلطة مطلَقة دون مساءلة، مما يجعل الخضوع الكامل له ضرورة لتحقيق الأمن والنظام.

ثانيًا: إسقاط الفَهم الغربي على موقف ابن تيميَّة في الإمامة:

يظهر تأثير الخلفيَّة الغربيَّة للفكر السياسي والاجتماعي على فَهْم هنري لاووست لموقف ابن تيميَّة في الإمامة من خلال إسقاطه لمفاهيم اليوتوبيا، ونظريَّة العقد الاجتماعي على رؤية ابن تيميَّة، يعتمد هذا الإسقاط على عدَّة نقاط رئيسة توضح العلاقة بَيْن الرؤية الغربيَّة وتفسير لاووست لموقف ابن تيميَّة:

اليوتوبيا وتصوُّر المجتمع المثالي: هنري لاووست أسقط مفاهيم

(١) ماجد راغب الحلو، الدولة في ميزان الشريعة، النظم السياسية، المصدر السابق، ص٦٤.

(٢) محسن خليل، النظم السياسية والقانون الدستوري، ص١٦٨.

اليوتوبيا الغربيَّة، خاصَّة تلك التي نادى بها أفلاطون، على رؤية ابن تيميَّة للإمامة، فاعتَبَر أن ابن تيميَّة يُقدم تصوُّرًا مثاليًّا لمجتمع إسلامي تحكُم فيه الإمامة وَفقَ ضوابط شرعيَّة تُحقق العدل والمصلحة العامَّة، غير أن هذا الفَهم قد لا يعكس بدقَّة موقف ابن تيميَّة؛ إذ إنَّ الأخير ركَّز على الإمامة كوظيفة عمليَّة، وليست كغاية مثاليَّة، ابن تيميَّة كان عمليًّا أكثر من أن يكون مثاليًّا في طرحه؛ إذ رأى أن الإمامة ليست لتحقيق مجتمع مثالي بالمعنى اليوتوبي، بل لضمان استقرار المجتمع، وحِفظ الدين والدنيا.

الإسقاط: هنا يتضح أن لاووست بحكم تأثُّره بالخلفيَّة الغربيَّة لليوتوبيا، ربما بالَغَ في اعتبار رؤية ابن تيميَّة مشروعًا مثاليًّا، وهو ما يُخالف الطابع العملي والمرِن لرؤية ابن تيميَّة.

وهذا ما أشار إليه مصطفى حلمي حين قال: "ولكن علماء الإسلام في أبحاثهم ذات الصبغة السياسيَّة والاجتماعيَّة عالجوا واقعًا ماثلًا أمامَهم، محقَّقًا في أنظمة مطبَّقة، وما كان لهم أن يفترضوا فروضًا، وعندهم حقائق مقرَّرة تصرفهم عن مثل هذه الفروض"(١).

العقد الاجتماعي عند هوبز ودور القوة في الإمامة: تأثَّر لاووست بنظريَّة العقد الاجتماعي التي رأى فيها هوبز أن المجتمع ينشأ عن عقد تنازل فيه الأفرادُ عن حقوقهم للحاكم لضمان الأمن والاستقرار، أسقط لاووست هذه النظريَّة على مفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة، معتَبِرًا أن الأخير ينظُر إلى الإمامة باعتبارها مؤسَّسة تركز على السُّلطة المطلَقة للحاكم لضبط النظام. لكنَّه تجاهَل أن ابن تيميَّة لم يدعُ لسُلطة مطلَقة غير مشروطة، بل شدَّد على أن الحاكم ملتزِم بالكتاب والسُّنة، وأنه يُحاسَب إذا

(١) مصطفى حلمي، مقدمة كتاب نظريات شيخ الإسلام ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع، ص٨م.

خرج عن الشريعة.

الإسقاط: هنري فسَّر تركيز ابن تيميَّة على القوة اللازمة للإمامة كإقرار بالسُّلطة المطلَقة، وهو ما يتناقَضُ مع الطابع التعاقدي المشروط في الرؤية الإسلاميَّة التي تضمَن التوازن بَيْن الحقوق والواجبات.

تُعَد نظريَّات العقد الاجتماعي نظريَّات خياليَّة تفتقر إلى سند واقعي أو تاريخي؛ حيث لم يظهر مثال واقعي لجماعة نشأت عبرَ عقد اجتماعي، علاوةً على ذلك، فإن الفكرة ذاتها غير سليمة قانونيًّا؛ إذ إنَّ وجود العقد يتطلَّب سُلطة عامَّة لحمايته وضمان تنفيذه، مما ينفي إمكانيَّة أن يكون العقد هو الذي أنشأ هذه السُّلطة في الأصل، كما تفترض هذه النظريَّات أن الإنسان عاش في عزلة قبلَ نشأة الجماعة، وهو ما يتعارَض مع طبيعة الإنسان الاجتماعيَّة؛ حيث عاش دائمًا في إطار جماعات، ولم يَعرف حياة العُزلة(١).

والخلاصة أن هنري لاووست تأثَّر بخلفيَّته الثقافيَّة والفكريَّة الغربيَّة، مما انعكس على فَهمه لرؤية ابن تيميَّة في الإمامة من خلال إسقاط مفاهيم مثل اليوتوبيا والعقد الاجتماعي؛ فقد اعتبَر لاووست أن ابن تيميَّة قدَّم تصوُّرًا مثاليًّا للإمامة كمجتمع مثالي مُشابِه لتصوُّرات اليوتوبيا الغربيَّة، متجاهلًا الطابع العملي والواقعي لرؤية ابن تيميَّة التي ركَّزت على الإمامة كوسيلة لضمان استقرار المجتمع، وحِفظ الدين والدنيا، كما أسقط لاووست نظريَّة العقد الاجتماعي لهوبز على مفهوم الإمامة، معتَبِرًا أن ابن تيميَّة يدعو لسُلطة مطلَقة، بينما شدَّد الأخير على التزام الحاكم بالشريعة،

(١) نظرية العقد الاجتماعي بين التفكير الغربي والشريعة الإسلامية، مجلة دعوة الحق، العدد ٨٧، https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2017.

ومحاسبته عند المخالفة، وبالتالي يَظهر تأثير الفكر الغربي بوضوح في تفسير لاووست لموقف ابن تيميَّة، ما أدَّى إلى انحراف جزئي عن فَهْم السياق الإسلامي الواقعي الذي تميَّزت به رؤية ابن تيميَّة.

المحور الرابع: الإشكالات المنهجيَّة في دراسة لاووست لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة:

يُشكِّل منهج هنري لاووست في دراسة مفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة نموذجًا لتداخل التأثيرات الفكريَّة الغربيَّة مع الطرح الإسلامي، ورغمَ الجُهد التحليلي الذي بذَلَه في تقديم رؤية شاملة، إلا أن دراسته شابَتْها إشكالات منهجيَّة أثَّرت على دقَّة استيعابه لفكر ابن تيميَّة، من خلال هذا المحور سأُوضحُ ذلك بالتفصيل.

أولًا: غياب البُعد العقدي في التحليل:

أحد الإشكالات المنهجيَّة الرئيسة في دراسة هنري لاووست لمفهوم الإمامة عند ابن تيميَّة هو إهماله للبُعد العقدي الذي يُشكِّل حجر الزاوية في فكر ابن تيميَّة، تناول لاووست الإمامة من زاوية اجتماعيَّة وسياسيَّة بالدرجة الأولى، مركِّزًا على السياقات التاريخيَّة والواقعيَّة التي أثَّرت على طرح ابن تيميَّة، إلا أنه قلَّل من أهميَّة الأساس العقدي الذي يستند إليه هذا الطرح.

أمثلة من النصوص:

١. **إهمال العلاقة بَيْن الإمامة والتوحيد:** في نصوصه يؤكد ابن تيميَّة أن الإمامة ليست مجرَّد وظيفة إداريَّة، بل هي جزء من النظام الإسلامي الشامل الذي يقوم على التوحيد، يرى أن الإصرار على ربط الإمامة بالنص أو العصمة –كما عند الشيعة– يُضعف التوحيد؛ لأنه يُضفي على الإمام صفة دينيَّة تتجاوز وظيفته السياسيَّة، هذه النقطة لم يُبرزها لاووست بشكلٍ كافٍ؛ حيث ركَّز على الجوانب العمليَّة، متجاهلًا الأساس العقدي الذي يربط الإمامة بمفهوم التوحيد، وهذا ما أكَّده في

منهاج السُّنة بأن الإمام ليس رسولًا ولا نبيًّا، بل هو وليُّ أمر المسلمين لإقامة العدل وحفظ الدين[١].

بينما ركَّز لاووست على الجانب العملي، لم يُناقش بشكل دقيق كيف أن هذا الطرح ينبُع من رؤية ابن تيميَّة للعقيدة كمنظومة شاملة.

٢. **إغفال مفهوم العبادة في الإمامة:** يرى ابن تيميَّة أن الإمامة وسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة، وهي جزء من تحقيق العبوديَّة الخالصة لله في الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة، إلا أن لاووست تعامل مع الإمامة كمنظومة وظيفيَّة منفصِلة عن البُعد التعبُّدي، مما أضعف قراءته للعلاقة بَيْن الدين والسياسة عند ابن تيميَّة.

تحليل: يتضح من قراءة نصوص ابن تيميَّة أن الإمامة ليست منفصِلة عن العبادة، بل هي امتداد للالتزام بالشريعة كمنهج حياة، تجاهُل هذا الجانب جَعَل تفسير لاووست يتَّسم بتركيز مفرِط على الجوانب الماديَّة والبراغماتيَّة.

ثانيًا: القراءة الانتقائيَّة للنصوص:

تجلَّى الإشكال المنهجي الآخَر في القراءة الانتقائيَّة التي اعتمَدَها لاووست في تحليله لفكر ابن تيميَّة حول الإمامة، رغمَ اعتماده على نصوص مهمَّة مثل "منهاج السُّنة النبوية"، و"السياسة الشرعيَّة"، إلا أن اختياراته للنصوص كانت تخدم رؤيته المسبَقة التي تتأثَّر بالإطار الفكري الغربي.

(١) منهاج السُّنة النبوية، ج٦، ص٤٠٩.

أمثلة من النصوص:

١. **تركيز مُفرِط على القوة وتجاهل الشورى:** في قراءته لفكر ابن تيميَّة، ركَّز لاووست على النصوص التي تتحدَّث عن أهميَّة "القوة والشوكة" كشرط للإمامة، لكنَّه أغفل النصوص التي تتناول الشورى كمبدأ أساسي في اختيار الإمام، ابن تيميَّة يُشير بوضوح إلى أن الشورى هي الوسيلة الشرعيَّة لتحقيق الإجماع والشرعيَّة السياسيَّة.

الشاهد: ابن تيميَّة يقول في "السياسة الشرعيَّة":

"وأمرُهم –رضي الله عنهم– شورى بينَهم، فبايَعوا أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان...، وهذا من تمام عدل الله ورحمته لعباده"(١).

إلا أن لاووست ركَّز على القوة فقط، مما أدَّى إلى تصوير غير دقيق لرؤية ابن تيميَّة.

٢. **نقده لنقد ابن تيميَّة للشيعة:** تعامَل لاووست مع نقد ابن تيميَّة للشيعة الإماميَّة في "منهاج السُّنة النبوية" بطريقة اختزاليَّة؛ حيث ركَّز على الجانب الجدلي في نقده لفكرة العصمة والنص الإلهي، لكنَّه أغفَل الربط الذي قدَّمه ابن تيميَّة بَيْن هذه الأفكار، وبَيْن العقيدة الإسلاميَّة، ابن تيميَّة يرى أن فكرة الإمام المعصوم تُناقض كمال الشريعة الإسلاميَّة، وتُضعف الاعتماد على القرآن والسُّنة.

لم يُناقش لاووست هذه الفكرة بعمق، بل اكتفى بعرض الجوانب الجدليَّة من النصوص.

(١) منهاج السُّنة النبوية، ج٦، ص١٤٢.

تحليل نهائي:

تُظهر القراءة الانتقائيَّة للاووست تأثير خلفيَّته الفكريَّة الغربيَّة التي دفعَتْه إلى التركيز على ما يتوافَق مع مفاهيم البراغماتيَّة والواقعيَّة السياسيَّة، بينما أغفل الجوانب الشرعيَّة والعقديَّة التي تُشكِّل الأساس لفكر ابن تيميَّة، هذا النهج أدَّى إلى تفسير منقوص لرؤية ابن تيميَّة للإمامة كوظيفة شرعيَّة تسعى لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلاميَّة.

الخاتمة:

تناوَلَت هذه الدراسة منهج هنري لاووست في دراسة مذهب ابن تيميَّة في الإمامة، وسعَتْ إلى تحليل رؤيته النقديَّة واستكشاف مدى توافُقها مع السياقات الفكريَّة والعقديَّة التي شكَّلت رؤية ابن تيميَّة، من خلال استعراض المحاور المختلفة للدراسة، توصَّلتُ إلى مجموعة من النتائج والتوصيات:

النتائج:

١. منهجيَّة لاووست: أظهر هنري لاووست منهجيَّة أكاديميَّة متماسِكة، تجمَع بَيْن التحليل التاريخي والاجتماعي والفكري، إلا أن قراءته افتَقَرت أحيانًا إلى الدقَّة بسبب تأثُّره بالخلفيَّة الثقافيَّة الغربيَّة، مما أدَّى إلى إسقاط مفاهيم غربيَّة مثل اليوتوبيا، والعقد الاجتماعي على فكر ابن تيميَّة.

٢. الانتقائيَّة في قراءة النصوص: تعامَل لاووست مع نصوص ابن تيميَّة بانتقائيَّة، مما أفرز فَهمًا منقوصًا لرؤية ابن تيميَّة، ركَّز على الجوانب السياسيَّة والاجتماعيَّة، لكنَّه أغفل البُعد العقدي الذي يُمثل جوهر رؤية ابن تيميَّة للإمامة.

٣. فَهْم مغلوط للإمامة: تأثَّرت رؤية لاووست بالإسقاطات الفكريَّة الغربيَّة؛ حيث صوَّر الإمامة عند ابن تيميَّة على أنها مشروع مثالي مشابِه لتصوُّرات اليوتوبيا الغربيَّة، أو مؤسَّسة سُلطويَّة مطلَقة، كما في نظريَّة العقد الاجتماعي، متجاهِلًا الطبيعة الواقعيَّة والوظيفيَّة للإمامة في فكر ابن تيميَّة.

٤. دقَّة تحليل ابن تيميَّة: أكَّد ابن تيميَّة على أن الإمامة وسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة، وليست غاية بذاتها، وركَّز على تحقيق العدل وحفظ النظام ضمنَ إطار الشريعة الإسلاميَّة، هذه الرؤية الواقعيَّة لم تَحْظَ بفَهْم كامل من قِبل لاووست، مما أثَّر على موضوعيَّة تحليله.

٥. إسهام لاووست: رغم القصور قدَّمت دراسة لاووست إسهامًا مهمًّا في فتح المجال أمام الباحثين لدراسة الفكر السياسي الإسلامي، وتحليل جذوره، مما يُعَد مرجعًا مفيدًا لفَهم تعاطي الفكر الاستشراقي مع التراث الإسلامي.

التوصيات:

١. ضرورة قراءة أعمال المستشرقين مثل: هنري لاووست قراءة نقديَّة متوازِنة، تجمَع بَيْن الإشادة بإسهاماتهم العلميَّة، ورصد التأثيرات الثقافيَّة والفكريَّة التي قد تؤثر على موضوعيَّتهم.

٢. تشجيع الباحثين في الفكر الإسلامي على دراسة وتحليل المناهج الاستشراقيَّة من منظور نقدي، لتقويمها بما يتناسب مع طبيعة الفكر الإسلامي، وسياقاته الفكريَّة والعقديَّة.

٣. الاهتمام بتحليل الفكر الإسلامي بطريقة تكامليَّة تجمَع بَيْن الأبعاد العقديَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، مما يُسهم في تقديم صورة أكثر دقَّة وشمولًا.

٤. تعزيز الحوار بَيْن الثقافات الفكريَّة المختلفة لفَهْم أعمق للتراث الإسلامي، مع التركيز على أهميَّة السياق التاريخي والفكري الذي يُميز كل ثقافة.

٥. إعادة قراءة نصوص ابن تيميَّة في سياقاتها الشرعيَّة والاجتماعيَّة، مع التركيز على إبراز تكامل رؤيته التي تجمَع بَيْن الشرعيَّة العقديَّة والمرونة العمليَّة.

في الختام، تُبرز هذه الدراسة أهميَّة البحث النقدي في الفكر الاستشراقي، مما يفتح آفاقًا جديدة لفَهْم العلاقة بَيْن الفكر الإسلامي والتحليل الغربي، مما يدعو إلى تقديم قراءات متوازنة ومُنصِفة للفكر الإسلامي، والتراث الإنساني عمومًا.

المصادر والمراجع:

اللغة العربية:

١. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيميَّة الحراني، منهاج السُّنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، ط١، ١٩٨٦.

٢. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيميَّة الحراني، العقيدة الواسطية، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ن.

٣. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيميَّة الحراني، السياسة الشرعيَّة، الناشر: وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

٤. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيميَّة الحراني، الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلاميَّة، الناشر: دار الكتب العلميَّة، ط١، د.ت.

٥. رمزي الشاعر، الأيديولوجية وأثرها في الأنظمة السياسيَّة المعاصرة، مطبعة عين شمس، ١٩٧٩.

٦. صلاح إسماعيل، تصورات المدينة الفاضلة نحو عالم أفضل، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد المجلد ١٨، العدد ٧٠ (٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠٢٠).

٧. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

٨. عبد القادر العجيلي النجار، الإمامة عند ابن تيميَّة، مجلة جامعة الزيتونة، تونس، عدد ١٦ن ٢٠١٥م.

٩. ماجد راغب الحلو، الدولة في ميزان الشريعة، النظم السياسيَّة، دار المطبوعات الجامعية، ط٢ن ٢٠١٦م.

١٠.محسن خليل، النظم السياسيَّة والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، ط٢ن ١٩٦٧ م.
١١.محمَّد جلال شرف وعلي عبد المعطي، الفكر السياسي في الإسلام، ط١ن ١٩٧٧ م.
١٢.محمَّد رفعت عبد الوهاب، النظم السياسيَّة والقانون الدستوري، دار المطبوعات الجامعية، ط١ن ١٩٩٩ م.
١٣.مولود عويمر، مقاربات في الاستشراق والاستغراب (هنري لاووست نصف قرن في رحاب الفكر الإسلامي)، فضاءات للنشر والتوزيع ط١، ٢٠١٨ م.
١٤.نجيب العقيقي، المستشرقون، ج١، دار المعارف، مصر، ط٣ن ١٩٦٤ م.
١٥.نظريَّة العقد الاجتماعي بين التفكير الغربي والشريعة الإسلاميَّة، مجلة دعوة الحق، العدد: ٨٧، https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2017.
١٦.هنري لاووست، نظريات شيخ الإسلام ابن تيميَّة في السياسة والاجتماع، ترجمة: محمَّد عبد العظيم علي، دار الأنصار، القاهرة.

اللغة الأجنبية:

1. Fátima Vieira, “The Concept of Utopia,” in The Cambridge Companion to Utopian Literature, ed. Gregory Claeys. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.
2. Gregory Claeys and Lyman Tower Sargent, eds. The Utopia Reader, New York and London: New York University Press, 1999.
3. Laoust, Henri, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya.

References :

allgha al3rbya:

1. t8y aldyn abo al3bas a7md bn 3bd al7lym bn 3bd alslam bn 3bd allh bn aby al8asm bn m7md abn tymyh al7rany ،mnhag alsnh alnboya fy n8d klam alshy3a al8drya ،gam3a al emam m7md bn s3od al eslamyh ، 61 ،1986.
2. t8y aldyn abo al3bas a7md bn 3bd al7lym bn 3bd alslam bn 3bd allh bn aby al8asm bn m7md abn tymyh al7rany ،al38yda aloas6ya ،alnashr: mktba alm3arf ، alryad - almmlka al3rbya als3odya ،d.6 ،d.n.
3. t8y aldyn abo al3bas a7md bn 3bd al7lym bn 3bd alslam bn 3bd allh bn aby al8asm bn m7md abn tymyh al7rany ،alsyasa alshr3yh ،alnashr:wzara alsh2on al eslamyhawalao8afwald3oawal ershad - almmlka al3rbya als3odya ،61 ،1418h-.
4. t8y aldyn abo al3bas a7md bn 3bd al7lym bn 3bd alslam bn 3bd allh bn aby al8asm bn m7md abn tymyh al7rany ،al7sba fy al eslam ،aowzyfa al7koma al eslamyh ،alnashr: dar alktb al3lmyh ،61 ،d.t.
5. rmzy alsha3r ،alaydyologyawathrha fy alanzma alsyasyّa alm3asra ،m6b3a 3yn shms ،1979.
6. sla7 esma3yl ،tsorat almdyna alfadla n7o 3alm afdl،wzara alao8afwalsh2on aldynya ،al3dd almgld 18 ،al3dd 70 (30 sbtmbr/aylol 2020).
7. 3bd alr7mn bdoy ،moso3a almstshr8yn ،dar al3lm llmlayyn ،byrot ،63 ،1993m.
8. 3bd al8adr al3gyly alngar ،al emama 3nd abn tymyh ، mgla gam3a alzytona ،tons ،3dd 16n 2015m.
9. magd raghb al7lo ،aldola fy myzan alshry3a ،alnzm alsyasyh ،dar alm6bo3at algam3ya ،62n 2016m.
10. m7sn 5lyl ،alnzm alsyasyhawal8anon aldstory ،dar alnhda al3rbya ،62n 1967 m.
11. m7md glal shrfw3ly 3bd alm36y ،alfkr alsyasy fy al eslam ،61n 1977 m.

12.m7mḋ rf3t 3bd alohab ،alnzm alsyasyẘawal8anon aldstory ،dar alm6bo3at algam3ya ،61n 1999 m.
13.molod 3oymr ،m8arbat fy alastshra8walastghrab (hnry laoost nsf 8rn fy r7ab alfkr al eslamy) ،fda2at llnshrwaltozy3 61 ،2018 m.
14.ngyb al38y8y ،almstshr8on ،g1 ،dar alm3arf ،msr ،63n 1964 m.
15.nzryẘa al38d alagtma3y byn altfkyr alghrbywalshry3a al eslamyẘa ،mgla d3oa al78 ،al3dd: 87 ، https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2017.
16.hnry laoost ،nzryat shy5 al eslam abn tymyẘa fy alsyasawalagtma3 ،trgma: m7mḋ 3bd al3zym 3ly ،dar alansar ،al8ahra.

allgha alagnbya:

1. fátima vieira, “the concept of utopia,” in the cambridge companion to utopian literature, ed. gregory claeys. cambridge: cambridge university press, 2010.
2. gregory claeys and lyman tower sargent, eds. the utopia reader, new york and london: new york university press, 1999.
3. laoust, henri, essai sur les doctrines sociales et politiques de taki-d-din ahmad b. taimiya.